لمحة سريعة عن :

دير القديس أنبا مقار

ديــر القديس أنــبا مقــار
برية شيهيت

لمحة سريعة عن :

رهبنة مصر

ودير القديس أنبا مقار

الأب متى المسكين

الكتاب : لمحة سريعة عن رهبنة مصر ودير القديس أنبا مقار.
المؤلف : الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى : ١٩٨١ .
الطبعة الثانية : ١٩٨٥ .
مطبعة دير القديس أنبا مقار ــ وادي النطرون .
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٨١/١٩٥٣
الترقيم الدولي : ٢ ــ ٤٤ ــ ٧٣٢٠ ــ ٩٩٧

المحتويات

□□□

— ١ —

الكنيسة القبطية أعرق كنائس العالم

عن تقليد رسولي

الكنيسة القبطية تعتبر أعرق كنائس العالم. فقد دخلتها المسيحية حال قيامها في فلسطين وقبل مجيء مارمرقس سنة ٤٣ م. بعدة سنوات. يقول العالم جروفس:

[من المحتمل أن يكون الإيمان المسيحي قد انتقل إلى مصر، وبعد يوم البنتيقسطي(١) بقليل. ومما يرجح البداية المبكرة للمسيحية في مصر هو قرب مصر من فلسطين. وكذا السكان اليهود الكثيرون الذين استقروا في مصر. ذلك لأننا نعلم أن الكارزين الأُول بالمسيح توجهوا أولاً إلى المجمع](٢).

ويمدنا سفر الأعمال بواقعة تفيد كيفية بداية قبول اليهود العلماء الموجودين بالإسكندرية للإيمان المسيحي حال ظهوره في فلسطين وقبل أن يحدده الرسل « ثم أقبل إلى أفسس يهودي إسمه أبلُّوس اسكندري الجنس رجل فصيح مقتدر في الكتب كان هذا خبيراً في طريق الرب وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب عارفاً معمودية يوحنا فقط » (أع١٨: ٢٤-٢٥).

هذا الكلام يوضح أن أبلُّوس اليهودي الإسكندري تقبّل الإيمان المسيحي بصورة سريعة غير مكتملة حال ظهوره وليس على يديّ مرقس الرسول.

كذلك يقول أبو الفرج بن الطيب في تفسيره لإنجيل لوقا:

---

(١) البنتيقسطي هو يوم « الخمسين » من بعد القيامة.

(2) Groves, C.P.; *The planting of Christianity in Africa*, p. 36, citd in *"St. Mark and the Coptic Church"* p. 21.

[هنـاك أسباب مقنعة تجعلنا نعتقد أن القديس لوقا كتب إنجيله إلى « العزيز ثاوفيلس » الذي كان والياً سابقاً في الإسكندرية ثم اهتدى للمسيحية . وهذا كان قبل زيارة القديس مرقس الثانية للإسكندرية] (٣) .

ولكن يُعتبر القديس مار مرقس الإنجيلي (أحد التلاميذ السبعين) أول بشير رسمي للديار المصرية ، وقد وطأتها قدماه حوالي سنة ٤٣ م . ، بعد أن سبقه إليها الرب يسوع المسيح حين قدم إليها محمولاً على كتف أمه ومع يوسف خطيب مريم هرباً من هيرودس ، بحسب رواية الإنجيل (٤) .

وتبدأ قصة مجيء القديس مرقس الرسول إلى مصر كما يرويها المؤرخ الكنسي الأسقف ساويرس بن المقفع (٩٥٠؟-١٠٣٠؟) في كتابه : « تاريخ البطاركة » (٥) ، حينما ظهر له ملاك وهو في روما ـــ وكان هناك مرافقاً للقديس بطرس الرسول في كرازته الأولى إلى هذه المدينة (٦) ـــ وأقنعه الملاك بضرورة تبشير مصر .

وبدافع المقاومة والإضطهاد هناك ، انحدرا معاً إلى مصر ـــ القديسان مرقس وبطرس الرسولان ـــ حيث اتجه مرقس الرسول إلى ليبيا موطنه الأصلي (قيرين) بعد أن أسس أول كنيسة في الإسكندرية سنة ٤٣ م . أما بطرس الرسول فانحدر من الإسكندرية جنوباً إلى بابليون (مصر القديمة) ، حيث كانت أكبر جالية يهودية في الشرق تستوطن هناك ، ودعت موطن غربتها باسم بابليون (بابل العراق) حيث تغربوا غربتهم الأولى هناك . ومن بابليون مصر كتب رسالته الأولى ، وهذا ما يؤكده القديس چيروم في كتابه عن التاريخ الكنسي (٧) .

---

(٣) أبو الفرج بن الطيب : تفسير على إنجيل لوقا ، مجلد ٢ صفحة ١١ ـــ مخطوطة عربية . وهو الفيلسوف البغدادي الشيخ أبو الفرج عبد الله بن الطيب المتوفي سنة ١٠٤٣م .

(٤) متى ٢ : ١٣-١٥ .

(5) Ibn El Mokafä, *"Hist. of Patr.,"* arabic mis., p. 15.

(٦) ١ بط ٥ : ١٣ .

(7) Hardy., *Christ. Egypt.*, p. 7 (Cited in *"St. Mark & the Coptic Church,"* p. 12.



«قُم وخُذ الصبي وأمه وآهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك» (مت ٢ : ١٣)

أما مرقس الرسول فبعدما أسس كنيستين في ليبيا (٥٦-٦٠م) عاد ثانية إلى الإسكندرية عن طريق الشاطىء سنة ٦١م . و يقول العالم هاردي ما معناه :

[إنه أيضاً من المحتمل أن يكون القديس مرقس قد ذهب أولاً إلى الحي اليهودي في الإسكندرية ، الذي كان يقع في الجانب الشمالي الغربي من المدينة ، حيث كان أول المهتدين بكرازته إسكافياً يهودياً اسمه إنيانوس أو حنانيا] (٨)

فوجد كنيسته الأولى التي أسسها من حوالي عشرين عاماً قد نَمَت وازدهرت وضمت كثيراً من علماء اليهود المتنصرين الذين بمعاونة القديس مرقس الرسول ـ وهو المدعو في تاريخ چيروم بـ « العالم » **Scholasticus** نظراً لتضلعه في العلوم اليونانية (٩) ، أنشأوا معاً أول مدرسة لاهوتية مسيحية في الإسكندرية ، ورسم جماعة من القسوس لإدارة شئون الكنيسة معاً قبل أن يدخل نظام استقلال كل أسقف بأبروشيته (١٠) . وقد اختير منهم إنيانوس ليكون أول بابا إسكندري على كرسي مارمرقس بعد استشهاد القديس مرقس الرسول .

ومن بعد إنيانوس توالى البابوات البطاركة الإسكندريون بتسليم رسولي ، حافظين الإيمان المسلم بالتقليد الشفاهي والإنجيلي بكل أمانة وإخلاص عبرعشرين قرناً ، استوعبت حتى الآن ١١٧ بطريركاً حتى بابانا المكرم الحالي أنبا شنودة الثالث بابا الإسكندرية و بطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧ .

ولكن في مجمع خلقيدونيا في القرن الخامس لم يستطع الفكر اللاهوتي ممثلاً في بطريرك القسطنطينية وروما استيعاب الفكر الإسكندري المسلَّم من القديس أثناسيوس الرسولي والقديس كيرلس الكبير. ولعب في هذا النزاع اللاهوتي أحقاد السياسة والتعالي العنصري وتسابق الكرامة بين المدن الكبرى ، بالإضافة إلى لمسة من الفكر النسطوري أصابت كرسي القسطنطينية وروما جعلت العقيدة الأرثوذكسية

---

(8) Hardy., op. cit., p. 13.

(9) Jerome, *Lives of Illustrious men,* VIII.

(10) Fawler, *Christ. Egypt.,* p. 4.



مارمرقس الرسول أحد التلاميذ السبعين للرب وكاروز الديار المصرية

القبطية صعبة الفهم عليهم ، عسيرة الإستساغة ، مع أنها بنقطها وحروفها هي العقيدة التي استقرت عليها الكنيسة بالإجماع في مجمع أفسس ــ الثالث ــ وصاغها القديس كيرلس الكبير معلم الكنيسة كلها بلا منازع ، وتتلخص في المنطوق اللاهوتي الشهير:

طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد μὶα φύσις τοῦ Θεοῦ Λόγου σεσαρκωμένη (ου)

حيث الطبيعة الواحدة لا تعني الطبيعة اللاهوتية وحدها ولا الطبيعة البشرية وحدها في المسيح ، ولكن **طبيعة واحدة من طبيعتين أصلاً** . لذلك لا تقبل كنيستنا القول السائد في الكنائس الأخرى أن المسيح إله كامل وإنسان كامل ، لأن في ذلك ثنائية مرفوضة ، بل تقول ــ بكل تأكيد ــ أن المسيح إله متجسد (أو متأنس) ، حيث الطبيعة اللاهوتية قد اتحدت بالطبيعة الناسوتية إتحاداً كاملاً مطلقاً لا يحتمل الثنائية بعد الإتحاد .

فنحن نقول أن الطبيعتين كانتا طبيعتين قبل الإتحاد والتجسد ، أما بعد الإتحاد والتجسد فلا يصلح أن يُقال أنهما طبيعتان بعد ، حيث اللاهوت والناسوت متحدان إتحاداً كاملاً مطلقاً في أقنوم واحد ومشيئة واحدة وجوهر واحد . **فالطبيعة الواحدة التي للمسيح بالتجسد تحوي كل صفات اللاهوت والناسوت كاملة معاً** ، فكل ما قاله وكل ما عمله وكل ما أراده المسيح قاله وعمله وأراده « **كإله متأنس** » ، ليس فيه ما هو إلهي وما هو بشري ، بل كله « **إلهي بشري** » معاً .

هذا هو الإيمان الذي دافع عنه ديوسقورس فحرموه وعزلوه ظلماً ، و بقينا نحن أمناء عليه حتى يومنا هذا بإنتظار يقظة ضمير روما والقسطنطينية وأثينا ، وحينئذ يدرك العالم أمانة الكنيسة القبطية وعمق لاهوتها وروحانية منطقها .

أما عن الأثر المباشر للمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية فيقول عنه مؤرخو الغرب بلا أي موار بة :

[إن أول محاولة منهجية لتآلف التقليد الإيماني مع النتاج الحر للعقل الإنساني لم يتم في روما ولا في أثينا بل في مصر] (11) .

---

(11) Bigg. C., *Christian Platonists of Alexandria.*, p. 25.

[لقد أصبحت الإسكندرية هي عقل المسيحية في العالم](١٢).

[من المسلم به أن التعليم العالي في الإسكندرية اتخذ اتجاهاً وشكلاً أقرب إلى نظام جامعاتنا الحديثة ، مما لم نجده في أي بقعة أخرى في العالم اليوناني ــ الروماني القديم](١٣).

ومن أول البراهين على صحة كل هذا الإطراء والمديح على عظمة المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية وأثرها الكبير والمستوى العلمي واللاهوتي المرتفع الذي بلغت إليه ، هو الدور الطليعي الذي قام به باباوات الإسكندرية في الدفاع عن الإيمان وتزعُّم المجامع المسكونية لمدة خمسة قرون متوالية !! وهل يستطيع العالم أن ينسى العلاَّمة كلمندس الإسكندري وأوريجانوس أو البابا ديوناسيوس الكبير أو البابا بطرس خاتم الشهداء أو البابا ألكسندروس أو البابا أثناسيوس الرسولي أو البابا ثيئوفيلس أو البابا كيرلس الكبير الملقب بعمود الدين ؟

مدرسة اللاهوت بالإسكندرية وعلاقتها بدير القديس أنبا مقار:

ولكن مما سيدهش القارىء جداً أن كل عظمة هذه المدرسة اللاهوتية مع كل تراثها العلمي التقليدي انتقل بكامله إلى دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون . وإليك ما يقوله الأسقف المكرَّم أنبا غريغوريوس أسقف الدراسات العليا بالكنيسة القبطية ، في لمحته التاريخية عن مدرسة الإسكندرية :

[نحو نهاية القرن الخامس أزعج المدرسة (اللاهوتية) عواصف عاتية كانت من العنف حتى أنها قضت عليها ... وأدى هذا إلى تشتت تلامذتها وأساتذتها . أما القلة التي بقيت تسعى من أجل الدرس والبحث ، فقد وجدت في دير القديس مقاريوس مأوى وميناء آمناً يتناسب والهدوء الذي كانوا ينشدونه للعمل . وهكذا صار هذا الدير هو الوريث الشرعي للمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية إلى أجيال عدة . وهذا هو على الأرجح السبب الذي من أجله كان اختيار معظم

(12) Roberts. A., *Ante N.F.,* vol. II, p. 185.

(13) Gauche. w., *Didymus the Blind,* p. 36.

البابوات بعد ذلك يتم من بين رهبان الدير] (١٤) .

ملامح الرهبنة القبطية قديمة قِدَم الكنيسة نفسها :

ومع بداية تأسيس الكنيسة القبطية في الإسكندرية و بابلون مصر ، قام بين اليهود المتنصرين ثم الأقباط نظام التبتل والعبادة المنفردة في خارج المدن ، و بالأخص في ظاهر الإسكندرية حول بحيرة مريوط ، كاستجابة عملية لوصايا الرب يسوع المسيح النسكية . وقد أسماهم الطقس الكنسي في القرون الأولى وفي صميم القداس الإلهي بـ « النساك » واعتُبروا ضمن طبقة الإكليروس . وقد وصفهم العلاَّمة « فيلو » اليهودي المعاصر والصديق للقديس مرقس الرسول في كتابه (١٥) « حياة التأمل » أو « في المتضرعين » .

ولكن الرهبنة القبطية بوضعها المنظم ومبادئها الروحانية الملهمة تبدأ قصتها العالمية الشهيرة بالقديس أنطونيوس كما قدمه البابا أثناسيوس الرسولي للعالم الغربي و« الأقطار النائية » في كتابه المشهور « حياة أنطونيوس » .

وإن كان القديس أنطونيوس قد سبقه في التوحد المطلق القديس بولا أول سائح مسيحي وعاه التاريخ ، إلا أن الرهبنة مدينة في كل ما لها من مُثُل إنجيلية ومبادىء روحية ونُظم إدارية للقديس أنطونيوس و باخوميوس من بعده .

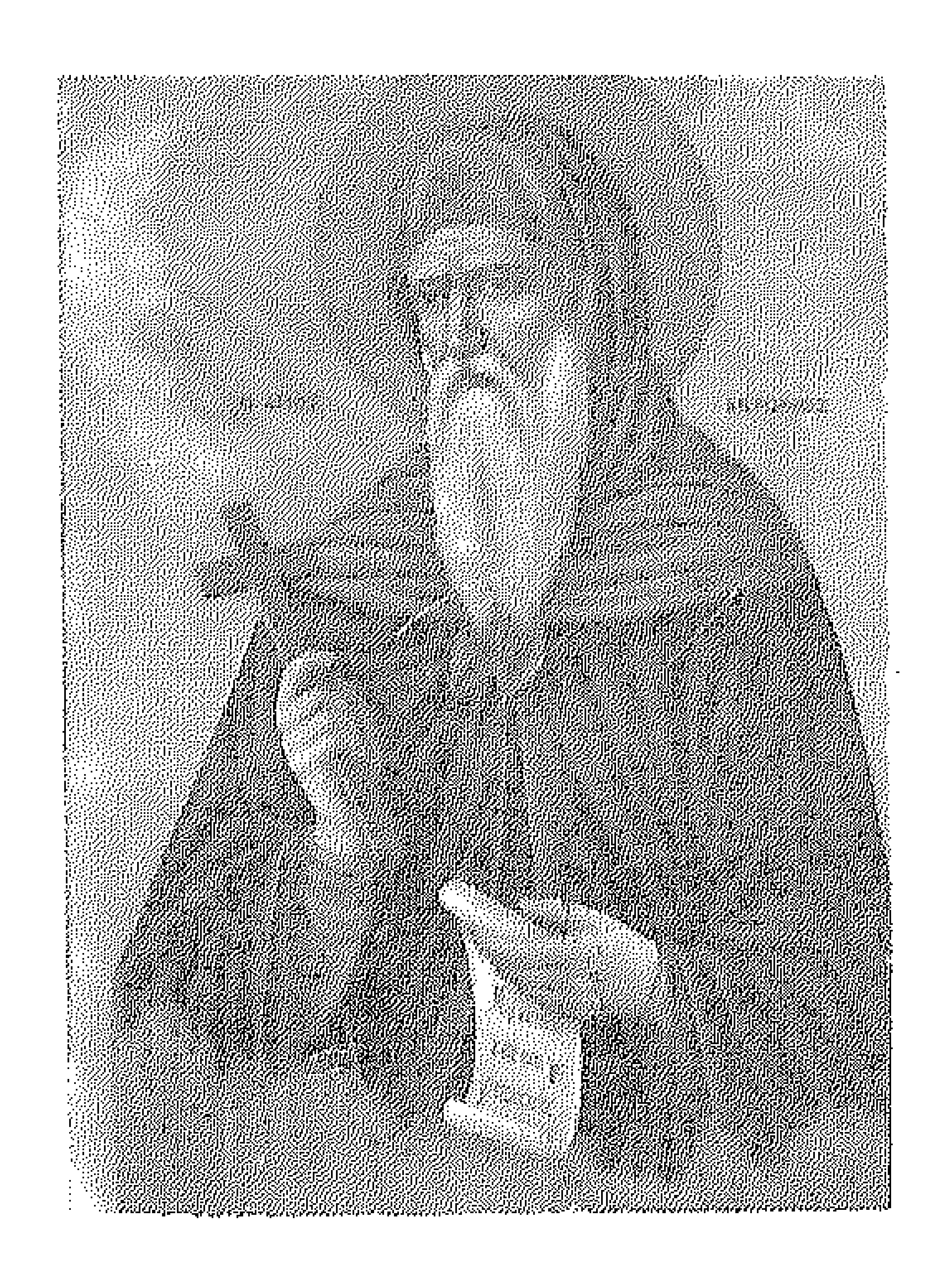
وكان أول دير أنشأه القديس أنطونيوس على نظام المتوحدين Eremitism سنة ٣٠٥م . وتبعه القديس باخوميوس ، حيث أنشأ أول شركة ديرية في سنة ٣١٨م ، وبعد ذلك القديس مقاريوس ، بديريه المشهورين « البراموس » و« أنبا مقار» ما بين عامي ٣٤٠-٣٦٠م . على طقس « تجمع متوحدين » .

وهكذا تعتبر مصر هي مهد الرهبنة المسيحية في العالم ، وعن مصر أخذت جميع

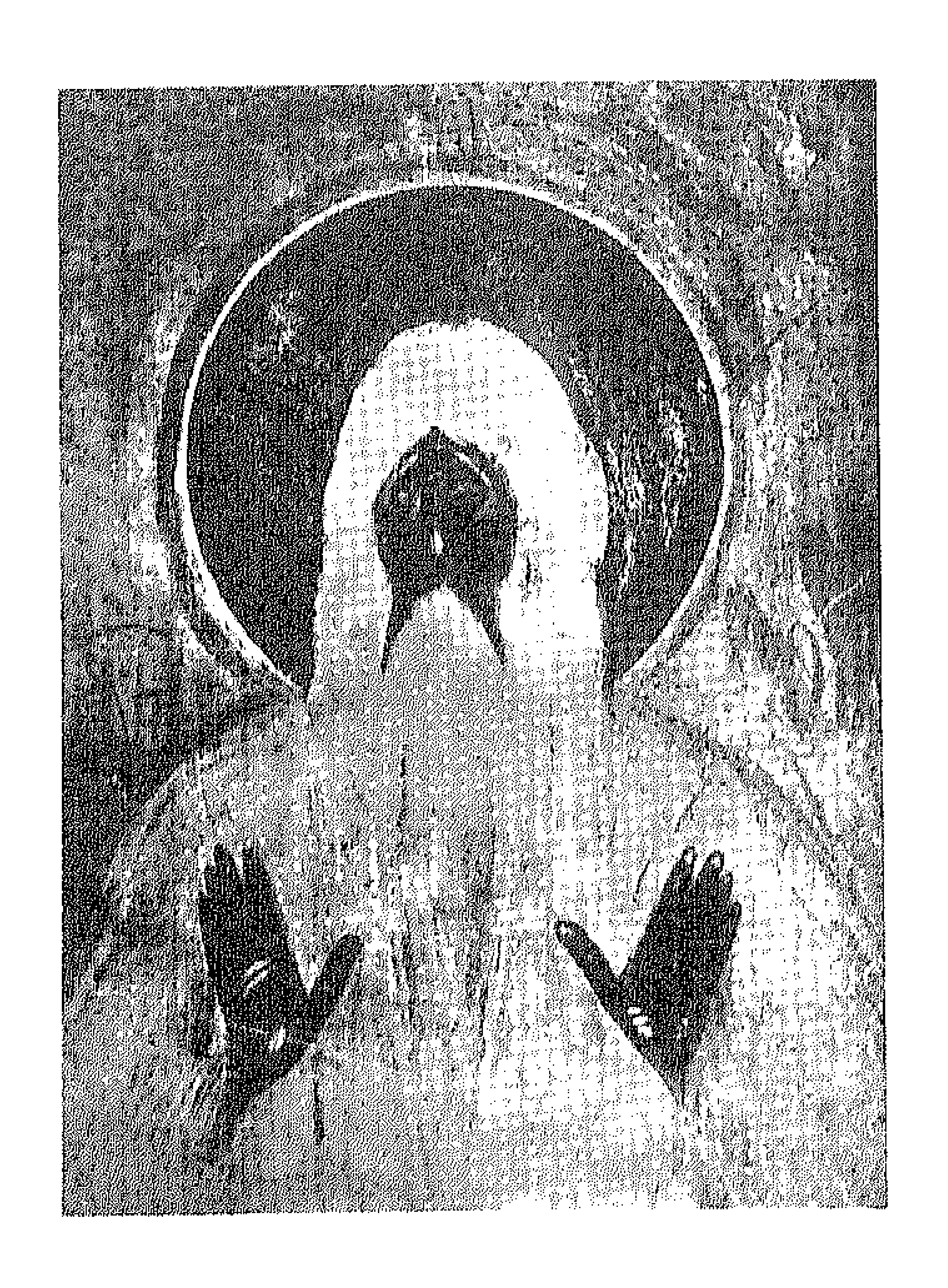
---

(14) Bishop Gregorius, *The catechetical or Theological School of Alexandria,* article in St. Mark and the Coptic Church., 1968, Cairo, p. 77.

(١٥) أنظر « يوسابيوس القيصري » ٢ : ١٧ صفحة ٧٦ وما بعده .

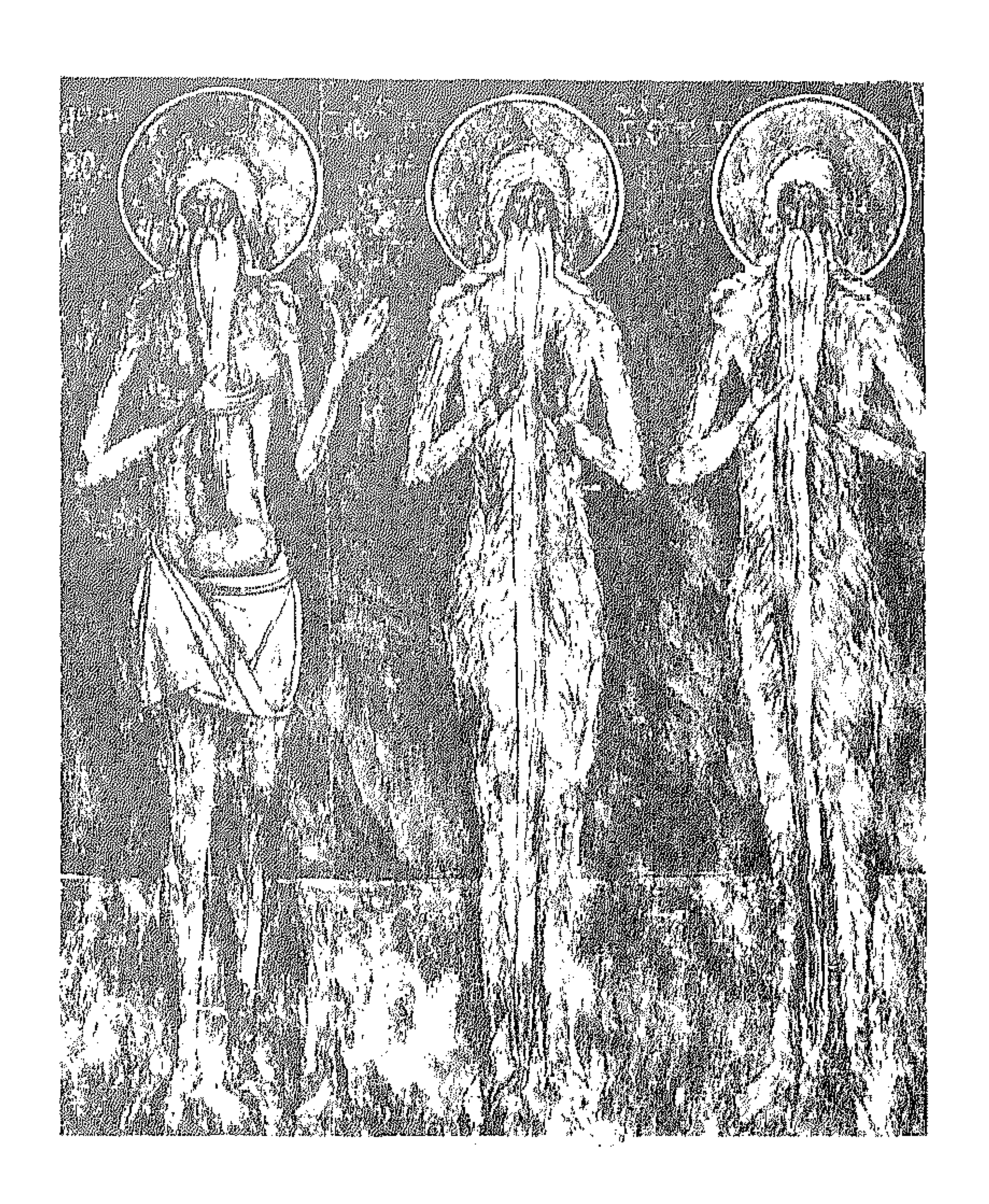


القديس أنبا أنطونيوس الكبير



القديس أنبا مقار
لوحة من القرن الرابع عشر
مرسومة على جدران كنيسة التجلي
في نوفجورد (روسيا)

الدول النظام الرهباني القبطي كمؤسسة شعبية وكنسية بآن واحد ، كان لها التأثير المباشر العميق للغاية على الحياة المسيحية في العالم كله ، سواء من الوجهة الروحية الصرف لفهم الإنجيل ، أو من الوجهة الفلسفية العملية في تطبيق الإنجيل على الحياة اليومية ، أو من الوجهة التنظيمية في تدبير الجماعة المسيحية وطرق قيادة الكنيسة ...



القديس مقاريوس بين السواح ــ ومن بينهم أبا نوفر السائح ــ كما تبدو في لوحة على جدران دير قديم في روسيا

* * * * * * *

— ٢ —

رهبنة مصر نور أشرق على كل نواحي بلاد المشرق

١ ـ فلسطين :

فالقديس « هيلاريون » (١) الفلسطيني الذي أسماه القديس أنطونيوس « نجمة الصبح » لأنه أول من جاءه من الغرباء ليتتلمذ على يديه ، هذا عاد إلى بلاده حاملاً في قلبه الرسالة الرهبانية القبطية بكل كثافتها الروحانية الإنجيلية ، وأسس أديرته الأولى في « غزة » (٢) ثم في كل فلسطين ، ومات وله من الأولاد عدة آلاف من الرهبان الأتقياء . وقد كتب سيرته تلميذه إبيفانيوس الذي استلم تعاليمه الرهبانية في مصر أيضاً وبنى لنفسه ديراً في إليوثيرو بوليس **Eleutheropolis** في منتصف المسافة بين غزة وأورشليم (أنظر الخريطة ص١٨) وإبيفانيوس هو نفس القديس المعروف الذي رُسم أسقفاً على سلاميس بقبرص سنة ٣٦٧م . وظلت أديرة غزة وإليوثيرو بوليس على أقوى الصلات بالرهبنة القبطية تستمد منها نموها ونورها أولاً بأول (*) .

٢ ـ بلاد ما بين النهرين :

القديس أوكين (أو أوجين) ، وهو من مواطني السويس (كلزما) ، وكانت صناعته صياد لآلىء ، وهو المعروف عند السريان مارآيون (تنيح سنة ٣٦٣م) ، هذا

(١) القديس هيلاريون من بلدة ثافاثا *Thavatha* على بعد خمسة أميال من مدينة غزة . وقد ولد حوالي سنة ٢٩٣ م وقد ذهب إلى الإسكندرية وتلقن العلم فيها ولكنه قطع المرحلة العلمية لما سمع بشهرة القديس أنطونيوس فذهب إليه مدفوعاً بغيرة إلهية ليختط طريق القداسة عوض العلم .

(٢) بدأ أول دير في بلده ميوما *Maluma* وهي ميناء غزة وذلك سنة ٣٣٠م .

(*) V.P.G. c. 110 cited by Derwas J. Chitty *"The Desert A City."*

تتلمذ على القديس أنطونيوس ثم رحل من الصعيد ومعه سبعون راهباً قبطياً من أولاد أنطونيوس ، وأقاموا في براري ماردين ونصيبين ، و بنوا أديرة الموصل وجز يرة عمر وطور عابدين وسنجار، و بشروا كافة النواحي بين الأشور يين ، وكانوا أعمدة نورانية في الشرق البعيد .

وكذلك **مار إسحق** المعلم أسقف نينوى النسطوري ، المولود ببلاد اليمن ، والذي نزح إلى بلاد ما بين النهر ين ، هذا استقى **حكمته العالية من رهبان مصر وبالأخص من مؤلفات القديس مقار يوس المصري الكبير. وعاش فترة طو يلة في براري شيهيت المقدسة** (وادي النطرون) بعد أن اعتزل أسقفية نينوى مفضلاً أن يعيش متوحداً بين متوحدي مصر من أن يكون كبيراً على كنيسة أعظم مدن الشرق ! ...

٣ ــ سور يا :

أما القديس أفرآم (٣٠٦-٣٧٣م) ملفان الكنيسة السر يانية الكبير وقيثارة الروح القدس ، فقد **استقى رهبانيته الأولى في إسقيط مصر (وادي النطرون)** ، وعاش مدة مع **القديس بيشوي أحد أولاد القديس أنبا مقار.** ثم عاد إلى بلاده مفعماً بمشاعر الروح التي كانت تتأجج في صدره فتخرج على هيئة آلاف الأبيات الشعر ية بكافة الأوزان ، التي تُرجمت إلى اليونانية وهو لا يزال حياً . فذاعت شهرته ، وامتد تأثيره حتى إلى بلاد اليونان وكل الكنائس البيزنطية التي أخذت من أوزانه وتأثرت بروحانياته ، ومنها وصلت إلى كل روسيا .

وحتى يوحنا العالم الروحاني الكبير المعروف باسم الشيخ الروحاني أو القديس سابا ، وهو من أكبر علماء الكنيسة النسطور ية ، فهذا أخذ عن الرهبنة القبطية كل خبراتها وروحانيتها وسكبها في مقالاته وميامره الذائعة الصيت .

القديس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م) وهو باكورة آباء كبادوكية العظام ، وقد جاء إلى مصر واستقى الرهبنة على آبائها الأقباط العظام ، ورحل إلى قيصر ية الجديدة سنة ٣٥٨م حيث بدأ حياته التوحدية ، و بدأ بتنظيم الرهبنة ووضع قوانينها التي اتسمت بها رهبنة كل الشرق بعد ذلك .

والمعلوم أن القديس باسيليوس عاش لمدة سنوات في صعيد مصر متتلمذاً على أيدي القديس باخوميوس نفسه وتلاميذه العديدين .

ومن المسلَّم به أن رهبنة جبل آثوس في اليونان بجملتها هي نقل حرفي لنظام وقوانين القديس باسيليوس الذي نقل عن مصر.

القديس يوحنا الدرجي رئيس دير طور سينا (سانت كاترين) (تنيح سنة ٦٤٩م) : جاء إلى مصر وعاش بين الرهبان الأقباط وأقام في دير الباخوميين شمال شرق الإسكندرية المدعو بـ« دير كانوب » ، وهو دير الماطونيا أو الميطانيا ، أي دير التوبة للطبانسيين ، وكان أصلاً معبداً للإله سيرابيس ، وقد هدمه البابا ثيئوفيلس ٢٣ (٣٨٥-٤١٢م) وسلمه للباخوميين ، وهو الدير الذي أقام فيه القديس أرسانيوس . وهو على بعد ١٢٠ غلوة : (٢٣ كم. تقريباً) من الإسكندرية(٣) . **وقد أثنى الدرجي كثيراً على نظام هذا الدير ورهبانه ، ونقل طريقة حياتهم ومعيشتهم إلى دير طور سينا .**

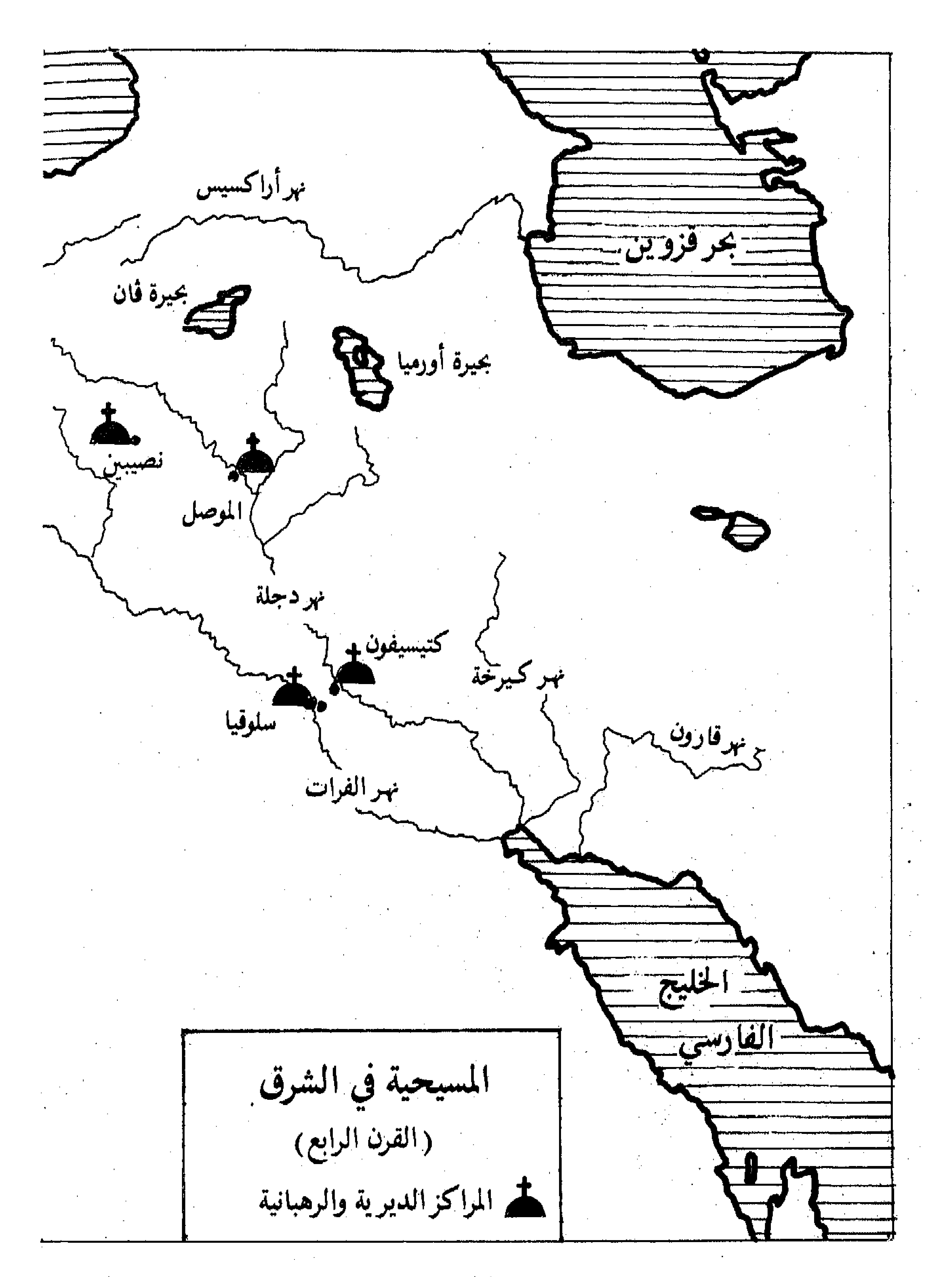
عصبة أمم على المستوى الرهباني :

و يسترعي انتباهنا جداً الموقع الذي عاش فيه القديس يوحنا القصير و بنى ديره على بعد ١٥ كيلومتراً جنوب غرب دير أنبا مقار. فقد تجمع في هذه البقعة عديد من الجنسيات وعاشوا كلٌّ في ديره ملاصقاً للآخر في وحدة روحانية وأُلفة مسكونية منقطعة النظير، ولا تزال آثار هذه الأديرة موجودة للآن : دير الأرمن ، ودير السريان ، ودير الأحباش .

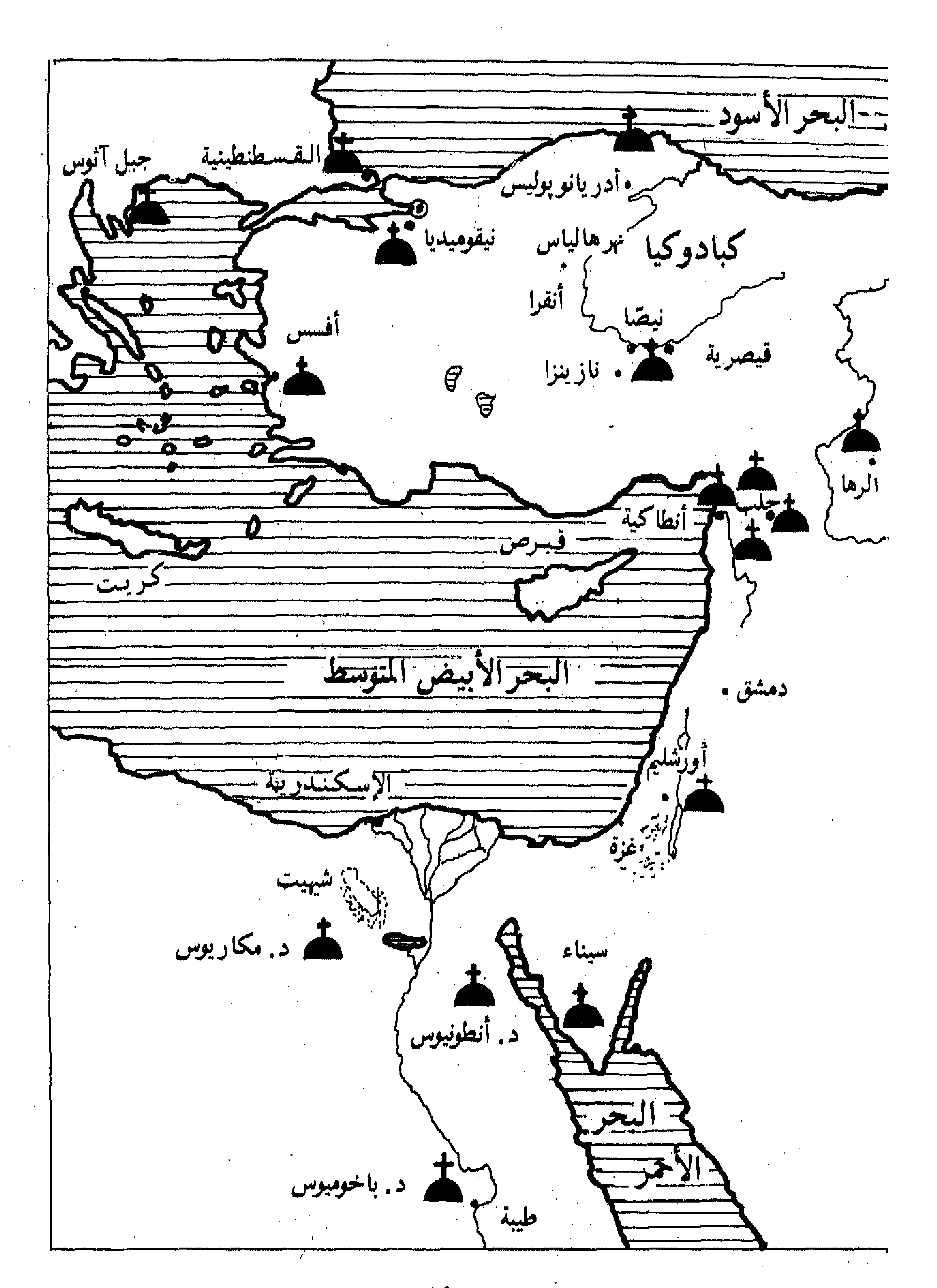
ولا شك أن وجود رهبان من أقطار متباعدة بهذه الكثافة كان واسطة لنقل كل التراث القبطي ، سواء كان رهبانياً روحانياً أو طقسياً ليتورجياً إلى كافة هذه الأقطار.

---

(٣) قد قمت بزيارة بقايا هذا الدير في أبو قير سنة ١٩٥٥م . وكان معسكراً للجيش المصري استلمه من كامب الإنجليز، ودخلت كنيسته وزرت قلاليه ، و بعض منها داخل في البحر و بعض منها تحت الأرض . ورأيتهم قد استخدموها مخازن للبارود .



نهر أراكسيس
بحر قزوين
بحيرة ڤان
بحيرة أورميا
نصيبين
الموصل
نهر دجلة
كتيسيفون
نهر كيرخة
سلوقيا
نهر قارون
نهر الفرات
الخليج الفارسي
المسيحية في الشرق
(القرن الرابع)
المراكز الديرية والرهبانية


البحر الأسود
القسطنطينية
جبل آثوس
أدريانوبوليس
نيقوميديا
هرهالياس
كبادوكيا
أنقرا
نيصّا
أفسس
قيصرية
نازينزا
الرها
حلب
أنطاكية
قبرص
كريت
البحر الأبيض المتوسط
دمشق
أورشليم
الإسكندرية
غزة
شيهيت
د. مكاريوس
سيناء
د. أنطونيوس
البحر
الأحمر
د. باخوميوس
طيبة

— ٣ —

رهبنة مصر نور أشرق على كل نواحي الغرب

١ ــ إيطاليا وفرنسا وجنوب ألمانيا

إن كتاب أثناسيوس الرسولي « حياة أنطونيوس » الذي كتبه رداً على خطابات أساقفة الغرب يسألونه عن رهبنة مصر وقديسها الأول أنطونيوس ، هذا الكتاب يكشف عن قصة بدء انتشار الرهبنة القبطية التي حملها القديس أثناسيوس الرسولي إلى روما وفرنسا ، وحتى إلى حدود ألمانيا (تريف) ، المنفى الذي عاش فيه القديس أثناسيوس مرتين ولمدة طويلة (٣٣٦-٣٣٩م) حيث ذهب ومعه راهبان مصريان نقلا معهما كل تراث القديس أنطونيوس وتعاليمه ونظامه الرهباني الذي كان قد ملأ في ذلك الوقت كل براري نتريا (جنوب الإسكندرية) ، وكل منطقة القلالي جنوب بحيرة مريوط ، وكل إسقيط مقاريوس (وادي النطرون) .

وهكذا انتشرت فضائل وتعاليم رهبان مصر إلى إيطاليا وفرنسا وألمانيا حيث بنيت الأديرة الأولى هناك على نظام متوحدي مصر .

فرنسا مرة أخرى :

يوحنا كاسيان : ويأتي كاسيان (الفرنسي الأصل) ــ (٣٦٠-٤٣٥م) ، ويعيش ويتتلمذ على أعاظم رهبان مصر في برية تانيس جنوب بحيرة المنزلة ، وبرية ديوكليس جنوب بحيرة البرلس ، ونتريا جنوب بحيرة مريوط ، ثم الإسقيط في برية بحيرات وادي النطرون ، ويتشقف حتى الشبع والملء بكل حكمة رهبان مصر . ويعود إلى بلاده فرنسا ويؤسس ديرين في مرسيليا على نفس طقس رهبان برية شيهيت ، وذلك سنة ٤١٥م ، وكتب لرهبانه كتابين هما خلاصة التعاليم التي تلقاها من آباء مصر شفاهاً عن كل واحد باسمه .

و يدعى الكتاب الأول باسم « المؤسسات » Institutes ، والكتاب الثاني « المحاورات » Conferences . وهو المحاورات التي دارت بينه و بين أعاظم رهبان مصر، والكتابان صارا المنهج الأساسي لكل التعاليم الرهبانية في الغرب و بالأخص عند القديس بندكت الذي كان يقرأها لرهبانه يومياً كدستور للحياة التقوية .

القديس مارتينوس : و يأخذ القديس مارتينوس في فرنسا كل طقس النظام الرهباني الذي استقاه من كتابات كاسيان و يؤسس ديره الكبير في تور، وهي البلدة التي رُسم عليها أسقفاً ، وصار بواسطة تعاليم رهبان الأقباط المسجلة في كتابات كاسيان من أشهر قديسي فرنسا وشفيعها المحبوب .

وقد وُلد سنة ٣١٥م وتنيح سنة ٣٩٧م ، وكان صديقاً وزميلاً للقديس إيلاريون أسقف بواتييه ، أما أول دير أسسه مارتينوس فكان على المنهج القبطي في مدينة Liguge وقد كتب سيرته صديقه المعروف ساليبيسيوس ساو يرس .

و يأتي تلميذ مارتينوس المدعو مكسيموس و يؤسس ديره على **النظام الكاسياني القبطي** بالقرب من ليون .

وهكذا انتشرت رهبنة مصر بكل تراثها الثقافي في فرنسا .

٢ ــ آسيا الصغرى واليونان

١ ــ و يأتي القديس بالليديوس المؤرخ الرهباني المشهور، المولود في غلاطية بآسيا الصغرى (بيزنطى) سنة ٣٦٣م . و ينزل بالإسكندر ية سنة ٣٨٨م . ضيفاً على القديس إيسيذورس صاحب بيت الضيافة بدار البطر يركية ، وهذا يسلّمه إلى رهبان الدير الخامس بظاهر الإسكندر ية ثم ينحدر إلى نتر يا (جنوب بحيرة مر يوط) . وهناك يظل يتنقل بين الرهبان متعلماً ومسجلاً لأقوالهم .

ثم يتجه إلى شيهيت (بر ية القديس مقار يوس) ويمكث هناك تسع سنوات كاملة (٣٩١-٣٩٩) متهذباً على أيدي متوحدي شيهيت .

ثم ينحدر إلى صعيد مصر و يأخذ شيئاً من الرهبنة على أيدي يوحنا الأسيوطي ، ومن هناك يعود إلى آسيا الصغرى مشبعاً بالتعاليم والروحانية القبطية ليُرسم أسقفاً على هرموبوليس و ينشر تعليمه في كل ربوع آسيا الصغرى ، ملازماً للقديس يوحنا ذهبي الفم ومدافعاً عنه .

وقد وضع بالليديوس تاريخاً شيقاً للرهبنة القبطية ، وأهداه إلى أحد أشخاص البلاط الإمبراطوري المدعو « لوز يوس » (*) فسمي بـ« **التاريخ اللوزياكي** » . ومن هذا الإسم وهذا الإهداء نستدل كيف تغلغلت الروح الرهبانية في قصور الأباطرة لتصبح أسلوباً للحكم .

٢ ــ **كذلك كان تأثير إيفاجريوس البنطي** (٣٤٥-٣٩٩م) من إقليم بنتس بآسيا الصغرى شديداً للغاية ، ليس على آسيا الصغرى فحسب ، بل على كل ربوع بلاد اليونان ، بسبب ميله إلى التقسيم المنهجي العقلاني للفضائل الرهبانية التي استقاها من مؤلفات العلاّمة أوريجانوس ومن جماعة العقلانيين من رهبان نتريا المتمصرين . وقد **عاش ١٧ سنة في مصر، وتتلمذ على يدي القديس مقاريوس الإسكندري في منطقة القلالي لمدة طويلة .**

إيطاليا أيضاً وأسبانيا :

١ ــ **القديس چيروم :** ومن إيطاليا جاء چيروم (٣٤٢-٤٢٠م) ، مصطحباً معه الأرملة « باولا » إحدى ثريات إيطاليا ، **وعاشا معاً وتتلمذا لمدة طويلة على رهبان مصر في إقليم نتريا وشيهيت وتقابلا مع القديس مقاريوس الكبير.** ورحلا إلى أورشليم حيث ألف چيروم كتابه عن تاريخ الرهبان .

كما ترجم القديس چيروم قوانين القديس باخوميوس إلى اللاتينية سنة ٤٠٤م . ونشرها بين الرهبان الإيطاليين . وكانت تعاليم القديس باخوميوس المصري الصعيدي هي الشرارة التي أشعلت الروح الرهبانية في كل بلاد الغرب .

(*) لوز يوس أحد معاوني الإمبراطورثيئوذوسيوس الثاني .

٢ ــ **روفينوس** : ومن شمال إيطاليا ، وبالذات مدينة أكويلا ، جاء روفينوس مصطحباً هو أيضاً ميلانيا الأسبانية ، سنة ٣٧١م. **وأقام مدة بين رهبان مصر في نتريا والقلالي وشيهيت ، وتتلمذ على أكابر الآباء مقاريوس وإيسيذوروس وبامو، وسجل أعمال الآباء وأقوالهم وتراجم حياتهم ، ثم قام بعد ذلك بترجمة كل التراث القبطي من اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية مما كان له أكبر الأثر في نشر الثقافة الرهبانية القبطية في كل بلاد الغرب .**

٣ ــ **القديس بندكت** : أما القديس بندكت المدعو« **رئيس كل الآباء رهبان الغرب** »، الذي عاش ومات في مونت كاسينو (٤٨٠ـ٥٥٠م) ، فقد أسس إثني عشر ديراً على **نظام الرهبان الأقباط كما استقاها من مصادر كاسيان ربيب رهبان مصر ومن قوانين القديس باسيليوس ، التي نقلها هو الآخر عن النظام القبطي .**

٤ ــ **ديونيسيوس الصغير** وهو راهب غربي آخر يدعى **Denys Le petit.** تنيح سنة ٥٤٥م . وقد قام هو الآخر بترجمة حياة ونظام وقوانين القديس باخوميوس إلى اللاتينية ونشرها في كل أوروبا .

شمال أفريقيا :

وهذا **القديس أغسطينوس** (٣٥٤-٤٣٠م .) أمير المتصوفين في العالم ، أسقف هيبو، واحد من أعظم آباء الكنيسة الذين صبغوا فكر المسيحية في الغرب والشرق ، وامتد أثره على مدى التاريخ حتى يومنا هذا ــ **هذا أتته رسالة الإلهام الأولى والعظمى من مصر في صيف عام ٣٨٦م ، عندما قرأ كتاب « حياة القديس أنطونيوس » لمؤلفه البابا أثناسيوس الرسولي ، وبعدها اعتزل العالم مباشرة ودخل في صراع عميق مع نفسه ومع العالم . وأخيراً انتصرت روح مصر وروح القديس أنطونيوس .** واستلم أوغسطينوس الخلاص ، واعتمد في عيد القيامة سنة ٣٨٧م .

وأسس أول دير له في تاجوستا بشمال أفريقيا ، وبعدها أمسكوه وجعلوه أسقفاً على هيبو . ومنذ ذلك الحين وروح الرهبنة الممزوجة بلمسات التصوف العميق تنضح على جميع تآليفه وأعماله ومبادئه التي صارت منبعاً عذباً للتأمل والحب والصلاة

للكنيسة في كافة أنحاء العالم حتى اليوم .

إنجلترا وأيرلندة :

يقول المؤرخ المشهور « ستانلي لان بول » عن موضوع علاقة رهبان مصر بإنجلترا :

[إلى الآن لم نعرف كما ينبغي ــ نحن سكان الجزر البريطانية ــ كم نحن مدينون جداً لهؤلاء النساك (الأقباط) المتوحدين ، لأن الأمر هو أكثر من أن يكون احتمالاً من حيث **الكرازة الأولى في إنجلترا ، التي تمت بفضل هؤلاء الأقباط ، حيث كان القانون الرهباني المصري هو السائد قبل عصر أوغسطين أسقف كانتربري (٦٠٤-٦٠٥م) . ولكن ما هو أكثر أهمية من ذلك هو أن المسيحية في أيرلندا ــ التي كانت العامل المؤثر الأعظم لانبعاث المدنية في مستهل العصور الوسطى لكل الدول الشمالية في أوروبا ، هي باعتقادنا وليدة الكنيسة المسيحية المصرية . وفي ما يسمى « بصحراء » أوليخ سبعة رهبان مصريون مدفونون هناك .** كما أن شعائر الخدمة الليتورجية والمعمار الكنسي في أيرلندا منذ أقدم العصور تحمل الكثير الذي يذكرنا بآثار المسيحية الأقدم في مصر . وكل واحد يعرف جيداً أن البراعة اليدوية للرهبان الأيرلنديين في القرنين التاسع والعاشر فاقت بكثير مثيلاتها في كل أوروبا .

ويمكننا أن نرد الفضل في فن تحلية مصوغاتهم الذهبية والفضية الرائعة التي تبدو بيزنطية الشكل ، وفي زخرفة المخطوطات بزخارف لا تضارع ، **إلى تأثير المبشرين المصريين ، وهكذا فإن الدَّيْن الذي ندين به للأقباط أكبر مما نتصور**] (١)

---

(1) Stanley Lane-Pool, *"Sketches of its History, Monuments and Social Life,"* London, 1898, pp. 203-4.

البعثات الرهبانية لكافة أقطار العالم :

ومن الوثائق التاريخية التي احتفظ بها التاريخ الرهباني القصص التي تثبت قيام الرهبان الأقباط ببعثات تبشيرية ، سواء بالمسيحية أو بالنظام الرهباني ، في أقطار عديدة من العالم . فدارسو التاريخ يعرفون شخصية القديس صرابامون (؟ــ ٤٠٠ م) الذي قام برحلات سياحية في نواحي اليونان وإيطاليا ، وشخصية القديس موريس المصري وفرقته الحربية المصرية التي عسكرت في سويسرا ، والقديسة ڤارينا وهي أخت القديس موريس التي رافقته لتبشر تلك النواحي ، والتي لا يزال لها كنيسة على اسمها بمدينة سوليربسويسرا ، والسبعة الرهبان الذين بشروا انجلترا واستقروا في ايرلنده .

والقديس أشعياء الاسقيطي الذي نزح من برية القديس مقاريوس بوادي النطرون وهاجر إلى فلسطين واستقر هناك حيث ظل يحج إليه كافة طوائف الرهبان والرؤساء والملوك ، ومكث في فلسطين لا يغادر مركزه التبشيري أكثر من أربعين سنة . والقديس برصنوفيوس أيضاً في غزة .

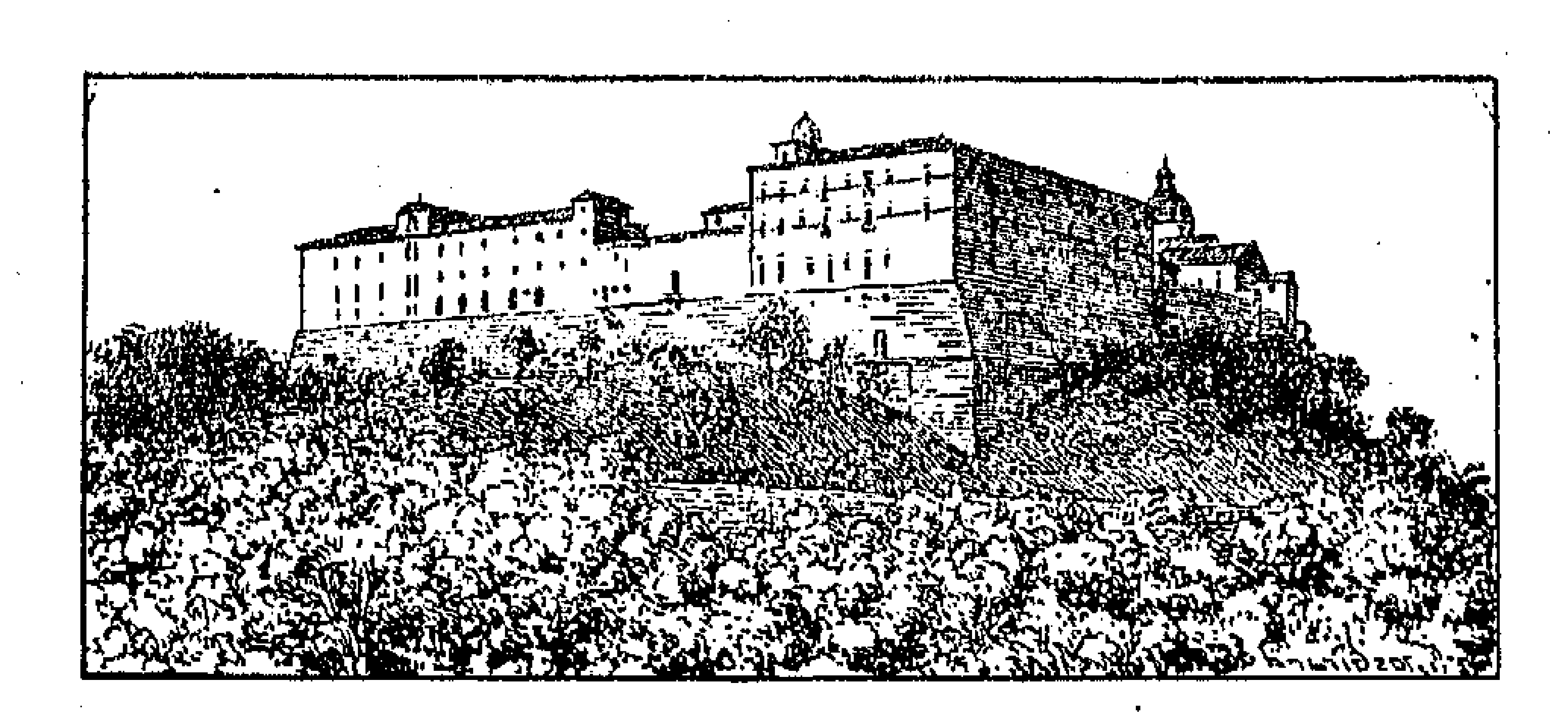
كذلك نعرف كثيراً من الأسماء اللامعة لأعاظم الرهبان الذين غادروا مع تلاميذ لهم يُعدُّون بالمئات في أعقاب كل اضطهاد أو كل غارة من الغارات الخمس الرئيسية التي وقعت على البراري موطن الرهبان في نتريا والقلالي وشيهيت وأيضاً على بسبير وأعالي الصعيد أحياناً . وقد هاجروا من مصر بقصد التبشير بدافع الحرارة الإنجيلية « أما الذين تشتتوا من جراء الضيق جالوا مبشرين بالكلمة ... واجتازوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية ... » (أع ٨ : ٤ ، ١١ : ١٩) ، فمنهم من اتجه صوب سيناء وفلسطين وبلاد العرب ، وما بين النهرين ، والهند ، واليونان ، وايطاليا وانجلترا وايرلنده ، ومنهم من اتجه إلى شمال أفريقيا ، وأسبانيا بالضرورة .

والذي سهل على الرهبان الأقباط هذه الهجرة التبشيرية تمرُّسهم في اللغة اليونانية التي كانت لغة العالم الروماني في كل أنحاء المسكونة وسهولة المواصلات بالمسير على

الطرق المعبدة أو بالبحار، حيث كان ميناء الإسكندرية يُعتبر قلب المواصلات لكافة أنحاء العالم. هذا بالإضافة إلى صفة الإنطلاق والحرية من كافة القيود التي تميز الراهب، بعكس العلماني الذي نجده غالباً مربوطاً بالأهل والوطن. أما حنين الراهب فلا يتمركز إلاّ في شخص المسيح، وفي الطقس الرهباني الذي يعشقه المتوحدون وكأنه الملكوت.

وبهذا يتبين بغاية الوضوح أن الكنيسة القبطية قامت بعملية تبشير عظمى شملت جميع أقطار المسكونة شرقاً وغرباً، لا على المستوى الفردي ولا بفم كارز أو معلم يجول وحسب، بل وبنظام روحي كامل دقيق أخرجته الرهبنة القبطية للعالم كله، لفهم الإنجيل ومعايشته، ولتدبير الجماعات وتنظيم الكنيسة. بل ولقد أجمع كثير من العلماء على أن قيام نظام الجامعات في أوروبا كان محاكاة وتطبيقاً لنظام التعليم في الرهبنة في الطقس القبطي عن باخوميوس.

وها هو النظام الرهباني بكل أشكاله في كافة الكنائس وفي كل أنحاء العالم الذي، بتأثيره المباشر على الحياة كلها، يشهد لمصر ولأقباط مصر أنهم أصحاب بشارة بالدرجة الأولى. هذه البشارة التي بلغت كل مسيحي في كل عصر في كل العالم حتى يومنا هذا!!



دير مونت كاسينو

أُسس عام ٥٢٩م ولم تهدم مبانيه الأثرية إلا في الحرب عام ١٩٤٤ ثم أُعيد بناؤها

— ٤ —

القديس مقار يوس وديره بشيهيت
والدور العظيم الذي اضطلع به على مدى التار يخ

أولا ــ صفات القديس مقار يوس :

أهم صفات القديس مقار يوس التي بدت عليه منذ شبابه « **الحكمة** » ، فكان أصدقاؤه ومحبوه يدعونه باسم بيدار يوجيرون παιδαριογέρων أي « الشاب الشيخ » أو « الصغير صاحب حكمة الشيوخ » .

وكانت له قدرة على استبطان الأمور ، فبدت وكأنها روح نبوة ، فكانوا يدعونه بالنبي اللابس الروح ، أي حامل الروح القدس .

وكان صفوحاً معز ياً ، مقتدراً بالروح قادراً أن يقود جميع القامات والمستو يات إلى المسيح . جمع في قطيعه بين أعنف النماذج مثل موسى الأسود ، وأرق وألطف النماذج مثل زكر يا الصبي الجميل أو أبولينار يا الراهبة السنكليتيكا (ربيبة القديسين) إبنة أحد رجال البلاط الملكي .

وكان وجهه يضيء بالنعمة ، ولكن بصورة ملفتة للنظر ، حتى أن آباءً كثير ين شهدوا بأن وجهه كان يضيء في الظلام ، فأسموه بالمصباح المضيء . وقد انتقلت هذه الصفة أو هذه التسمية إلى ديره ، فدُعي كذلك بمصباح البر ية المضيء أو الدير المضيء ، مكان الحكمة العالية والصلاة الدائمة .

ولكن أعظم صفات أو مميزات القديس مقاره كانت القوة الإلهية الحالّة عليه ، والتي دُعيت بالشارو بيم التي كانت مصدر قوته وإلهاماته وحسن تدبيره وسلطانه

المخيف على الأرواح النجسة .

ثانياً : ذهاب القديس مقاريوس إلى شيهيت :

قدم القديس مقاريوس إلى الإسقيط ، أي شيهيت (وادي النطرون) على أثر رؤيا خاصة رآها وهو يصلي في بلدة شبشير (منوفية) التي رُسم كاهناً عليها ، ولم تكن برية شيهيت غريبة عليه ، لأنه كان يتردد عليها في أيام صبوته مع قوافل الجمال التي كانت تعمل لحساب والده كاهن القرية ، إذ كانت تنقل النطرون من وادي النطرون إلى ترنوت (الطرانه الآن) على النيل ، حيث كان يُحمل في المراكب و يصدر إلى فرنسا و بلاد أخرى كثيرة .

وتحت تأثير الفرح من الرؤيا التي رآها ، إذ ظهر له الشاروبيم بمنظر نوراني بهيج وشجعه ، قام وسار إلى شيهيت حتى بلغه . ثم وقف حائراً يصلي و يطلب من الله أن يريه مكاناً لائقاً يسكن فيه ، فقال له الرب على فم الشاروبيم : « هذه الإرادة هي لك ، ها كل البرية أمامك لأني أخشى لئلا أعطيك وصية أن تسكن هنا أو هناك فيقاتلك الضجر أو الإضطهاد وتخرج من ذلك الموضع وتتجاوز الوصية فتخطىء . فليكن سكناك بسلطانك » . وشجعه الشاروبيم وقال له : « إني سأكون معك كل وقت ، كأمر الرب » .

وكان القديس مقاره في ذلك الوقت قد ناهز الأربعين عاماً من عمره ، ولما كان مولده في سنة ٣٠٠م . فتكون بداية توحده في شيهيت حوالي عام ٣٤٠م .

بداية دير البراموس :

وقد اختار القديس مقاره المكان المعروف الآن بدير البراموس ، وحفر لنفسه مغارة و بدأ يتعبد بنسك كثير . وسرعان ما ذاع صيته واجتمع حوله عديد من المريدين الذين أحبوه حباً جماً بسبب أبوته وحكمته والنعمة التي كانت عليه .

وبحسب التحقيق ، فإن القديس أنبا مقار مكث في هذا المكان ما يقرب من



صورة الأب المضيء القديس أنبا مقار اللابس الروح أب آباء رهبان شيهيت، صديق الشاروبيم
(ميلاده عام ٣٠٠م ـ نياحته ٢٧ برمهات / ٥ أبريل سنة ٣٩٠م)

عشرين سنة حتى اكتمل دير البراموس واكتظ بالمتوحدين الذين كانوا يعيشون في مغائر حول الكنيسة الرئيسية ، إذ لم يكن هناك أسوار بعد .

وقد قام القديس أنبا مقار في هذه المدة بزيارة القديس أنطونيوس مرتين ، المرة الأولى عام ٣٤٣م . والثانية عام ٣٥٢م . وقد تسلم من القديس أنطونيوس فضائله وتعاليمه ، وألبسه أنطونيوس الإسكيم المقدس ، وسلّمه عكازه . فكان هذا نبوة عن تسلم مقاريوس رئاسة الرهبنة بعد أنطونيوس . وقد شهد له القديس أنطونيوس بأن قوة عظيمة كانت تؤازره بقوله له « إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين » .

كما كان القديس مقاريوس يتردد على اقليم نتريا ــ حيث كانت جماعة الرهبان بقيادة القديس آمون ، ليصلي في الكنيسة هناك كلما أراد الشركة في جسد الرب ودمه ، لأنه لم تكن قد بنيت كنيسة في شيهيت إلا بعد زيارة القديس مقاريوس الثانية للقديس أنطونيوس أي سنة ٣٥٢م .

بداية دير القديس أنبا مقار:

انحدر القديس مقاريوس من شمال وادي النطرون إلى أقصى جنوبه بعد أن اكتظت المنطقة الشمالية بالمتوحدين وكان قد ابتنى لهم كنيسة وترك لهم تلميذه بفنوتيوس يدبر حياتهم . وكان ذلك حوالي سنة ٣٦٠م . حينما كان عمره قد بلغ الستين عاماً .

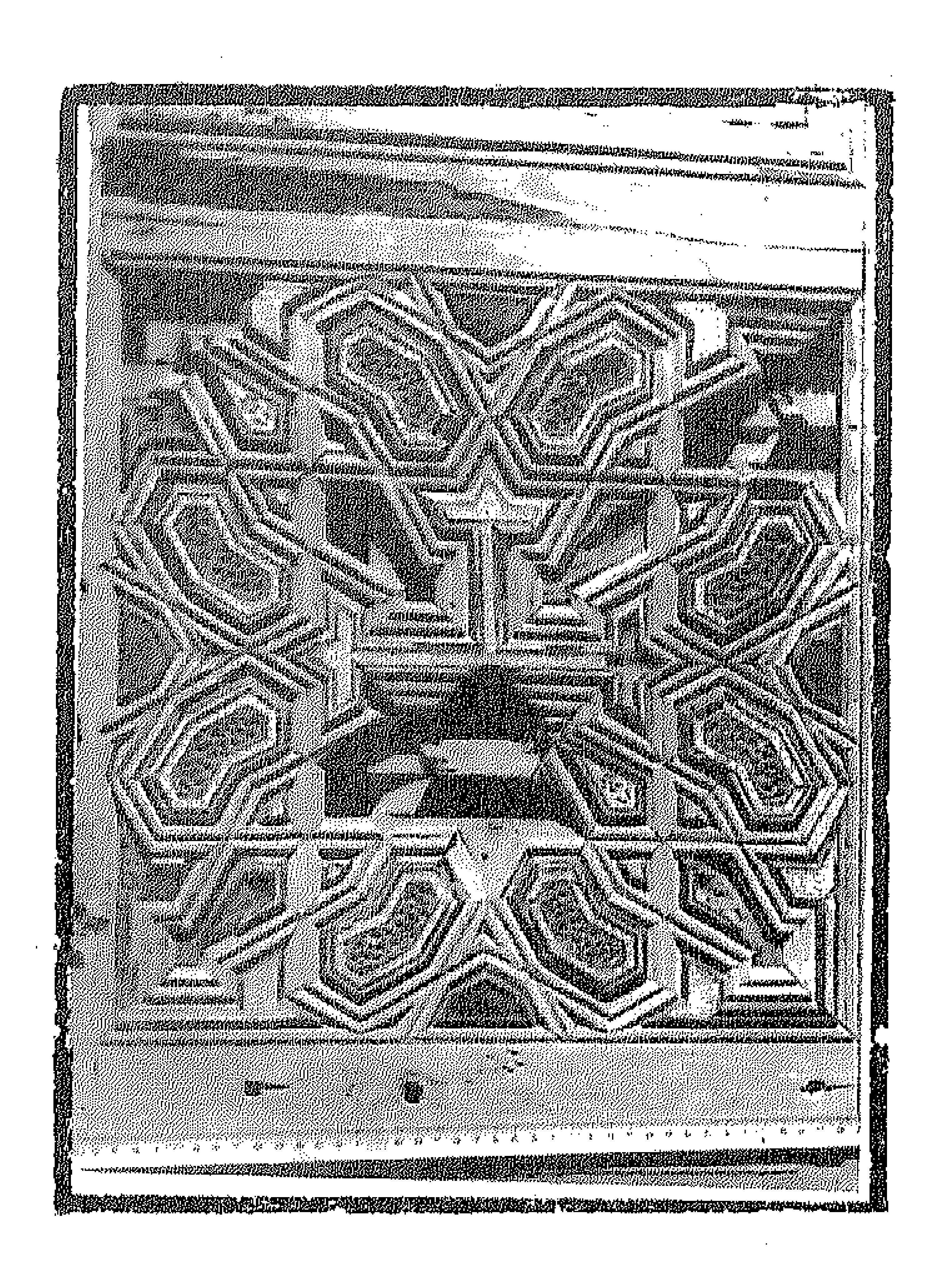
وهنا في جنوب الوادي وعلى طرف السطح الصخري حفر لنفسه مغارة ذات سرداب طويل ينتهي بمغارة أخرى سرية يلتجيء إليها ، ليتحاشى مقابلة الزائرين ، لأنه كان محباً للوحدة والسكون إلى أقصى حد (قد عثر الدير أخيراً على مغارة القديس ذات السرداب ــ أنظر الصورة المقابلة) .

ولكن سرعان ما تكاثر تلاميذه وتجمعوا في مجموعات و بنوا مساكن متفرقة تدعى « منشوبيات » وهي كلمة قبطية تفيد معنى السكن التجمعي أو الفردي . وقد بدأوا فرادى ثم ازداد عددهم جداً حتى صاروا عدة ألوف .



مغارة القديس أنبا مقار
(اكتشفت حديثاً)

وكان لا يجمعهم معاً إلا حضور الكنيسة الأسبوعي في يومي السبت والأحد لسماع التعليم والتناول من القربان المقدس .



حشوة خشبية تمثل صليباً من خشب الأبنوس مطعم بالعاج الأبيض ، دقيق الصنع ويمثل مدى ازدهار الصناعة اليدوية الدقيقة وابتكار الأشكال الهندسية الرائعة التي تميزها الأقباط في أحد العصور الزاهية ، يرجع تاريخه للقرن الثالث عشر/ الرابع عشر وهو محفوظ حالياً بمكتبة الدير.

ـــ ٥ ـــ

وصفُ الدير
عند مبدأ ظهوره في نهاية القرن الرابع

حينما بدأ دير أنبا مقار في الظهور حوالي سنة ٣٦٠م . كان بدون أسوار أو حصون ، بدأ بقلاية واحدة لأنبا مقار التي بناها في طرف الصخرة . وحولها من بعيد كانت هناك عدة مئات من القلايات المبنية بالطوب النيء والمسقوفة بالجريد . وكان لا يتحكم في شكل القلاية أو طرازها إلا عاملان أساسيان هما الفقر المدقع عن رغبة وليس عن ضرورة ، ثم التزام الهدوء لممارسة الوحدة والصمت .

ثم بُدىء ببناء الكنيسة ، ومعها ظهرت قلالي مرافقة للمائدة وللخدمة وللضيافة والمخازن ومكان لراحة المرضى . وازداد العدد فبلغ قرب نهاية حياة أنبا مقار حوالي ٢٤٠٠ راهب .

ولما تنيح القديس مقار سنة ٣٩٠م . ودفن في مغارته التي أحبها وعاش فيها أكثر من ثلاثين عاماً ، ارتبطت الجماعة كلها بالمكان وصارت القلاية التي تحوي جسده الطاهر نقطة الإرتكاز الأساسية لتثبيت المكان وإسمه على ممر الدهور. وأصبح جسد أنبا مقار ذخيرة الدير الثمينة التي يتناقلها الخلف عن السلف ، من عصر إلى عصر حتى يومنا هذا . فمن أجل هذا الكنز وكرامة سيرته شُيدت الكنائس وزُينت الهياكل ، وبقي الدير كقلعة شامخة ، يحكي على مدى السنين قصة أنبا مقار ونسكه وعبادته وأمانته لسيده ، والنعمة الفائقة التي كانت عليه ، والتي بلغت إلى مستوى الرسل .

***

١ ـــ عصر الحصون والأعمدة الرخامية

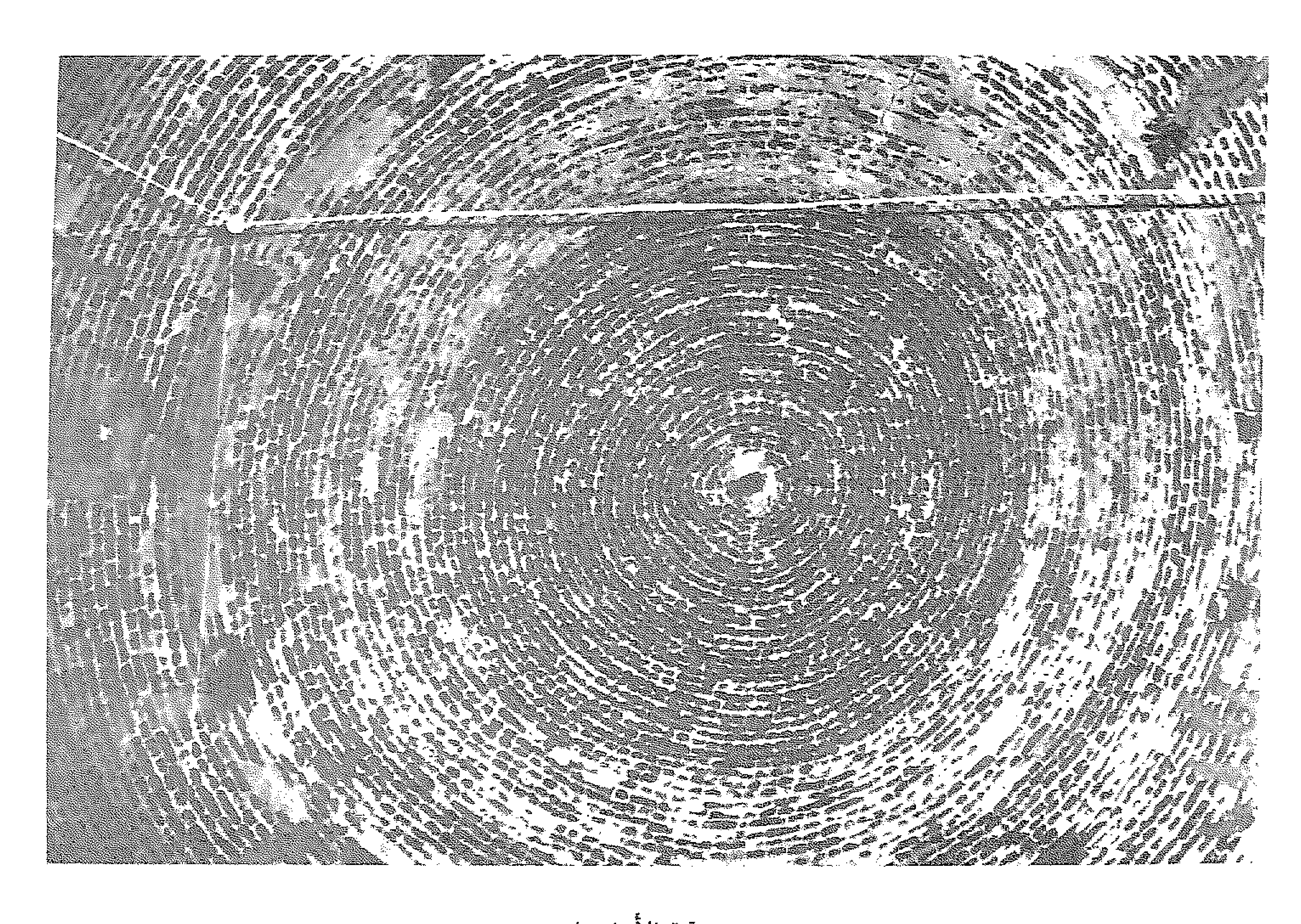
بدأ دير أنبا مقار يدخل في عصر عمارته الذهبي قبل بداية الغارة الثالثة سنة ٤٤٤ م . وبالتحديد بعد سنة ٤٣٨ م . ، أي بعد غارة البربر الثانية على المنطقة ، حيث بدأت أولى ملامح العمارة ببناء حصن « البيامون » لإيواء الرهبان في أمان وقت الغارات .

ولكن بحلول سنة ٤٨٢ م . بدأت بالفعل العمارة الكبرى ، وذلك بسبب دخول الأميرة « إيلارية » بنت الملك زينون (توفي سنة ٤٩١ م .) هاربة من قصر الإمبراطور متخفية في زي رجل ، حتى وصلت للدير وانخرطت في جماعة المتوحدين في زي راهب . الأمر الذي لما علمه الملك بدأ يغدق على الدير بسعة ، وأرسل مهندسيه لعمارة الدير وتجميله بالأعمدة الرخامية . ولا تزال بقايا مئات من القطع الرخامية من بقايا أعمدة وتيجان ونقوش التي عثرنا عليها في وسط الأنقاض المدفونة تبرهن على صدق هذه الرواية . انظر اللوحات ص ٥٩ ، ٦٦ ، ٨٠ .

٢ ـــ عصر النهضة الرهبانية
وانتقال مدرسة الإسكندرية اللاهوتية إلى الدير

بدأ هذا العصر على وجه التحديد سنة ٥٥١ م . على أثر فظائع الإضطهاد المريع الذي عانته كنيسة الإسكندرية من كلا السلطتين الإمبراطورية والكنيسة البيزنطية . فقد نُفي القديس ديوسقوروس وطُرد البطريرك الذي انتخبه الأقباط خلفاً لديوسقورس من الإسكندرية ، فالتجأ إلى دير أنبا مقار ومعه فلول مدرسة الإسكندرية من طلاب وأساتذة .

وهكذا بدأ دير القديس أنبا مقار ليؤدي وظيفته الجديدة كمقر للكرسي



صورة قبة الأنبا بنيامين

الأثر الخالد الذي لا يزال يحمل ذكرى دخول العرب مصر القرن السابع

البطر يركي وكمركز علمي ثقافي أعلى لكل البلاد . وكان نتيجة ذلك أن حمل دير أنبا مقار المسئولية الكاملة من جهة كل الترتيبات الكنسية من طقس ولاهوت وقانون ، كما أمد الكنيسة بالأساقفة والبطاركة العلماء عدة قرون متوالية ، وارتفع مستوى مكتبة الدير فصارت تضم ستة آلاف مخطوطة ــ تملأ الآن متاحف ومكتبات العالم بعد أن سطا عليها لصوص المكتبات الأفاضل . وقد أدت هذه المخطوطات دورها العلمي والثقافي وأنارت على أوروبا منذ عصورها المظلمة حتى يومنا هذا .

وقد بلغ عدد الرهبان في بداية هذا العصر حوالي ٣٥٠٠ راهب .

٣ ــ نكسات ثم انتفاضات متوالية على أثر غارات البربر

وبعد هذا الإزدهار أصيبت الأديرة بنكسة أودت بكثير من معالم نهضتها ، فقد وقعت الغارة الرابعة سنة ٥٧٠ م . فتركت الأديرة فارغة مهدمة . وعاد اضطهاد الوالي كيرش البيزنطي سنة ٦٣١م . بدوافع دينية عقائدية وعنصرية ، فزاد الضيق بالرهبان حتى هجر معظمهم الأديرة والتجأوا إلى الأماكن القريبة من المدن وخصوصاً حول دير نهيا بالجيزة ، كما يخبرنا أبو صالح الأرمني في كتابه تاريخ الكنائس والأديرة : « فخارج دير نهيا وبجواره توجد قلالي كثيرة تابعة للآباء الرهبان الذين جاءوا من دير أنبا مقار زمن بطريركية أنبا بنيامين » (٦٢٣-٦٦٢م) .

٤ ــ عصر المنشوبيات (الأديرة الصغيرة) وبناء الكنائس

ابتدأ هذا العصر بزمن دخول العرب مصر سنة ٦٤١م . حينما أعطى عمرو بن العاص الأمان للرهبان وصرح لهم باعادة بناء أديرتهم وكنائسهم . وكان وقتذاك المدبّر لدير القديس أنبا مقار هو قمص شيهيت المشهور أنبا يؤانس . وكان ذا همّة

صورة آثار المنشوبيات القديمة حول الدير

ونشاط معماري . وقد قامت في أيامه عدة منشوبيات شهيرة وهي عبارة عن أديرة صغيرة (ما زالت آثارها باقية حتى الآن) كان يسكنها نخبة من قديسي البرية الأفاضل العلماء .

واشتهر رؤساء هذه المنشوبيات بمقدرة فذة في القيادة والتدبير والعلم والتأليف . واشتهرت هذه المنشوبيات بأسماء خاصة مثل « الدنشتيري » أي « القلاية الكبرى » ، وقلاية التسعة والأربعين شهيداً ، ومنشوبية أنبا يؤانس ، ومنشوبية إبراهيم وجورجي أعظم قديسي القرن السابع ، ومنشوبية زكريا (وهو دير زكريا الواقع غرب الدير الآن) . وزكريا هذا قديس مشهور صار أسقفاً لمدينة صا . وهذا الدير الصغير هو الذي كان يسمى بالدنشتيري ، وقد تخرج من هذه المنشوبية أساقفة و بطاركة كثيرون ، منهم أنبا ميخائيل الخامس (١١٤٥ــ١١٤٦م) . وظلت هذه المنشوبية عامرة بالرهبان ، وكان بها كنيسة جميلة ظلت قائمة حتى القرن الرابع عشر ، ومنشوبية أنبا أغاثون وهي التي تخرج فيها القديس أنبا صموئيل المعترف صاحب دير القلمون الشهير. وأغاثون هذا ، هو القديس أغاثون العمودي .

ومنشوبية « درودي » . وهذا الإسم اختصار لكلمة دوروثيئوس ، وهو القديس الذي تعلم على يديه وتخرج من قلايته أنبا يؤنس كاما (الموضوع جسده في دير السريان الآن) . وقد تخرج من هذه المنشوبية أنبا غبريال البطريرك ٥٧ (٩٠٩ ــ ٩٢٠ م) .

وغير ذلك كثير من المنشوبيات العديدة التي تخرج منها كثيرون من الأساقفة والبطاركة . وكانت تتميز بعضها عن البعض بالتخصصات المتنوعة ، فمنشوبية زكريا اشتهر رهبانها بحفظهم التسبحة والمزامير وجميع الصلوات عن ظهر قلب ، ولم يكونوا يسمحون لأي راهب أن يسكن معهم إلا إذا أتقن أولاً حفظ كل علوم البيعة وطقوسها وألحانها . كذلك قلاية الدماهرة اشتهرت بفن النساخة ، فكان بها كتبة ماهرون .

ولم يأت القرن التاسع حتى صارت برية أنبا مقار عامرة بألف منشوبية ، يصفها أحد الرهبان الزائرين (سنة ٨٠٠م) المدعو إبيفانيوس من أورشليم بقوله : [وكان دير أنبا مقار عبارة عن قلعة (الحصن) يحيط بها ألف منشوبية] .



صورة لبقايا كنيسة أنبا مقار
بعد تهدم قبة هيكل يوحنا المعمدان عام ١٩٠٩

٥ ــ عصر الأسوار العالية

يبدأ هذا العصر بعد سنة ٨١٧م. حيث وقعت آخر غارة عنيفة للبربر على الأديرة وتركتها مهدمة ومحرقة بالنار، حتى لم يفلت أي مبنى من الدمار أو النار. وبسبب ذلك ومنذ ذلك الحين عوّل الرهبان على إقامة التحصينات وبعض الأسوار لحماية أنفسهم من سطوة العرب البربر المخربين.

وقد بدأت هذه الأسوار في الظهور للقادم من بعيد حوالي سنة ٨٧٠م، وكان ذلك على يد البابا شنودة الأول (٨٦٥ــ٨٧٧م) على أثر هجوم البربر على الدير أثناء وجوده هو في الدير خلال أسبوع الآلام.

أما هذا السور فأُقيم حول كنيسة أنبا مقار وملحقاتها لتكون ملجأ للرهبان أثناء الصلاة بالإضافة إلى الحصن. وقد بدىء في بناء بعض قلايات قليلة للطوارىء بجوار الكنيسة داخل الأسوار. فكان هذا أول انحصار في المباني ليكون شكلاً بدائياً للدير، جنباً إلى جنب مع مئات المنشوبيات العامرة المحيطة به على اتساع هائل.

ومنذ ذلك الحين بدأت خدمة الليتورجية اليومية داخل الكنيسة في سواعيها المحددة وطقوسها الموسمية، وذلك بسبب تواجد جماعة من الكهنة والشمامسة في قلاليهم الملاصقة للكنيسة. على أن كل راهب كان يعيش في قلايته عيشة منفردة لا مجمعية مع بقية الرهبان إلا وقت الصلاة والمائدة في يوم الأحد.

٦ ــ إنتهاء عصور الحياة التوحدية وبداية السكنى الشاملة داخل الأسوار

ظل ازدهار الحياة التوحدية قائماً في دير أنبا مقار حتى سنة ١٣٤٦م، حيث كان عدد الرهبان حوالي ٤٠٠ راهب يعيشون في قلاليهم المتفرقة خارج أسوار الكنيسة

(كانت الأسوار تضم الكنيسة وملحقاتها والحصن فقط) .

ولكن منذ ذلك التاريخ بدأت تتوارى أمجاد الحياة التوحدية ، ودخلت الرهبنة في عصورها المظلمة . وكان السبب الرئيسي في ذلك كارثتين :

الأولى : بدء إضطهاد لم يرَ الأقباط له مثيلاً ، فقد كان هذا القرن شؤماً على الكنيسة ، كما يقول المؤرخ « المقريزي » المسلم إذ خُرِّبت فيها الكنائس تخريباً فظيعاً وصودرت أملاكها وهُدمت أديرتها وضوعفت الجزية على الأقباط ، وقُتل من قُتل وأسلم من أسلم حتى أشرفوا على الفناء ، وذلك كان على يد الملك الصالح بن قلاوون وهو من المماليك البحرية .

الثانية : أما الكارثة الثانية فهي وقوع وباء الطاعون في ذلك التاريخ وكان يدعى « بالموت الأسود » ، فقد حصد مئات الآلاف وترك البلاد في مجاعة والأرض خراباً . ويقول « المقريزي » أنه كان يهلك يومياً وفي القاهرة وحدها ما بين عشرة آلاف وعشرين ألف نسمة ، حتى تركت أحياءً برمَّتها خراباً لا يسكنها ساكن .

ولم تَفُقْ البلاد من موجة الطاعون الأولى سنة ١٣٤٩م . حتى تلتها موجة ثانية سنة ١٣٧٤م . ، يقول عنها المقريزي أن البلاد بعدها بدأت تسير سيراً حثيثاً نحو الخراب ، حتى عام ١٣٨٨م .

فماذا أصاب الأديرة في هذه المحنة العظمى التي دامت ٥٠ سنة ؟ وماذا كانت حالة الأديرة ؟.هذا ما لم يعرفه أحد ، إذ انقطعت جميع الأخبار ولم يمدنا التاريخ بشيء .

ولكن ما أن أفاق التاريخ من إغماءته المحزنة ، حتى بدأت الإشارات تأتي تباعاً على هوامش المخطوطات وألسنة السائحين والزائرين . فقد تهدمت القلالي وخربت المنشوبيات وتساقطت الكنائس تحت سطوة الرياح والرمال والأمطار وعبث العابثين ، ولم تلبث أن صارت أطلالاً كما نرى آثارها اليوم . ودخلت القلة القليلة الباقية من المتوحدين ، دخلوا صاغرين داخل الأسوار يحتمون بها من الفقر والجوع

والمرض .

وخارج الدير الآن وفي الجهة الغربية منه على الصخرة توجد آثار المقابر التي تحكي قصة هذه الفاجعة حيث كانت تُلق المئات من أجساد الرهبان يومياً . وتمتد هذه المقابر المتتالية إلى مسافة عدة كيلومترات !!

وإليك شهادة أصيلة في كتاب الخطط والآثار ص ٣٣٩ للمؤرخ المسلم « المقريزي » المتوفي سنة ١٤٤١ تصف باختصار كل هذا معاً :

[و يقولون أنه كان يقيم بهذا الدير ألف وخمسمائة راهب ولكن لا يوجد به اليوم (ذلك كان حوالي ١٤٣٠م) سوى عدد صغير، و يُرى خارجه أطلال عدد كبير من الأديرة]

٧ ــ عصور الصراع المتواصل ضد عوامل الفناء والإضطهاد والفقر والجهل

ومنذ القرن الرابع عشر حتى القرن العشرين والدير يصارع بلا هوادة ضد عوامل التخريب المحدقة به من كل جانب : عوامل الزمن مع عرب مُغيرين ، وفقر مدقع وجهل كان سببه المباشر موت اللغة القبطية المدون بها كل أمجاد الآباء الروحية والطقسية واللاهوتية . ثم أمية الآباء حتى في اللغة العربية ، مما جعل استمرار التقليد والتراث العلمي أمراً محفوفاً بالمصاعب والمستحيلات !!

كما عانى الدير في هذه السنين الطويلة من لصوص المخطوطات الذين كانت توفدهم أعظم مكتبات الغرب ، وكان منهم الأساقفة والكهنة والعلماء بالإضافة إلى تجار المخطوطات وهواة جمع الآثار. هؤلاء كانوا يمثلون أخطر وأكبر عوامل التخريب التي امتُحنت بها الأديرة القبطية ، وكثيراً ما كانت المراكب تُشحن بالمخطوطات النادرة ثم تسقط في البحر وتغرق بما فيها ...

شهادات من السائحين والزائرين
على حالة الدير السيئة على مدى هذه العصور المتوالية

+ **السائح الفرنسي Thévenot سنة ١٦٥٦ م :**

[كان دير أنبا مقار أكثر الأديرة الأربعة تهدماً وتخريباً . وقد انهارت الكنيسة الكبرى وتهدمت ، وهي التي كانت ذات خمسة هياكل سابقاً . ولكنها ظلت محتفظة بمسحة من الجلال والمجد]

+ **السائح الفرنسي P.Claude Sicard سنة ١٧١٢ م وهو من جماعة الجيزويت :**

[كان الحصن مرتفعاً عن الأسوار بمقدار نصف ارتفاع السور، وكان الدير يحتوي على كنيستين : واحدة منها صغيرة وكاملة ، والكبيرة نصف خربة ، وقد تبقى منها خمس قباب محمولة على عشرين عموداً من الرخام القوطي . ولها خمسة مذابح .

وكان يوجد بالدير أربعة رهبان والقسيس الرئيس]

+ **السائح الجنرال أندريوسي سنة ١٧٩٩ م :**

[كانت حالة الرهبان يرثى لها وعددهم عشرون راهباً .
وكانت المباني كلها متداعية]

+ **السائح روبرت كيرزون سنة ١٨٣٧ م :**

[يوجد في دير أنبا مقار أربعة رهبان والدير في حالة يرثى لها ، والخرائب تحيط به من كل مكان]

+ **السائح السير جاردنر ويلكنسون سنة ١٨٤٤ م :**

[عدد رهبان الدير خمسة عشر راهباً معظمهم مرضى . وقد استرعى انتباهي آثار الدير الجيدة والنقوش ، سواء في الكنائس أو القلالي ، وكان لها رونق

وجمال]

+ السائح الأثري إيفلين هوايت ومعاونوه ، مرسلاً من متحف المترو پوليتان بنيويورك (١٩١١ــ١٩٢٩ م) :

[بداية حركة ترميم شاملة ، إعادة الصلاة في كنيسة القديس أنبا مقار بعد ترميمها ، والإحتفاظ بالخورس الأول فقط ، وإزالة باقي ما تهدم من صحن الكنيسة وعدم القدرة على إزالة بقايا الهدم والردم فأُبقي عليه وفرشه داخل الكنيسة وخارجها ، فارتفع مستوى الأرضية حوالي متر(١) . و بدىء بالصلاة في كنيسة أنبا مقار سنة ١٩٢٩ .

بناء مبنى منارة جرس الدير (قطره ١٫٢٥ متراً ، مصنوع في إنجلترا في مصانع شيفلد سنة ١٨٦٦) .

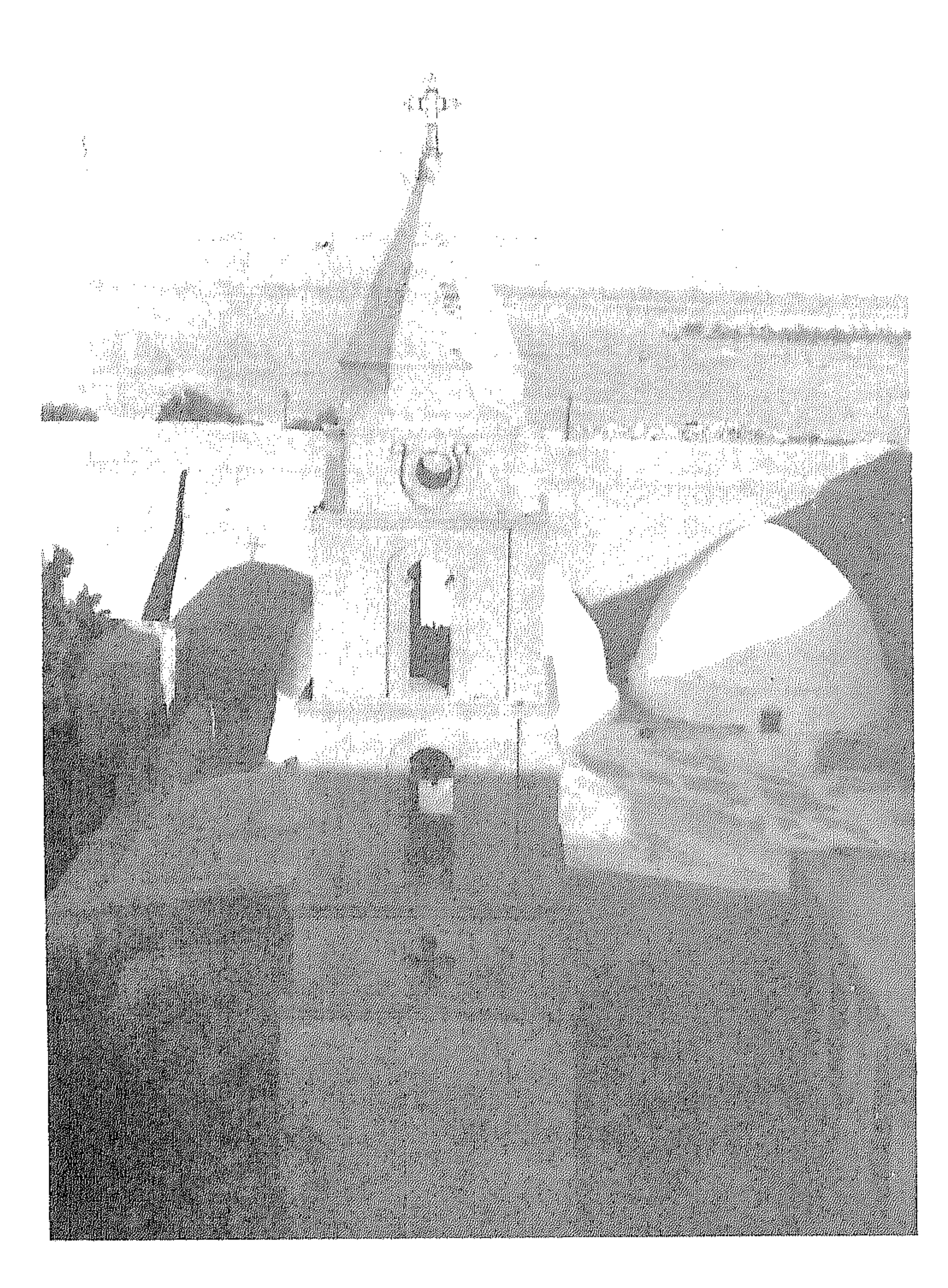
بناء مقر للضيافة سنة ١٩٢٠ بمباشرة أنبا باسيليوس مطران أبو تيج]

---

(١) لقد انتفعنا كثيراً بمعلومات هذا السائح الأثري ، وقمنا سنة ١٩٧٧ بمعاونة مصلحة الآثار بالكشف عن أرضية الهياكل وصحن الكنيسة الأصلي ، فعثرنا عليها بعد رفع جميع الأتربة المتراكمة فوق الأرضية وكانت حوالي ٧٥ سم ، ورفعنا الموقع كله بهياكله وصحن الكنيسة على لوحة هندسية . وقام العلامة الأثري الألماني Herr Grossmann بمعاونة الأستاذ عبد الرحمن عبد التواب مدير هيئة الآثار الإسلامية والمسيحية بالتقاط صور فوتوغرافية لها ؛ وفي هذه الأثناء اكتشفنا هيكلاً كاملاً ، بدرجاته التقليدية الثلاث ناحية الشرق ، وبها رسومات وزخارف ملونة ذات رسوم رمزية ترمز لسر الإفخارستيا وسر المعمودية و بعض الزخارف إحتفظت بألوانها زاهية كأنها رُسمت بالأمس ، مع أن هذا الهيكل يرجع زمنه إلى حوالي القرن السادس .

وقد قمنا ببناء أسواره وسقفه بقبة تقليدية على نمط قبة أنبا بنيامين ، وانضم هذا الهيكل إلى كنيسة القديس أنبا مقار. فصار بها ثلاثة هياكل عوض هيكلين . ومن المخطوطات والحفائر، تحققنا أنه الهيكل الذي كان يسمى « هيكل الفتية الثلاث » (دا٣) .

كذلك عثرنا ، بعد رفع الأتربة عن أرضية الخورس الأول ، على قبو تحت الأرض ، على عمق قامتي رجل ، فتأكدنا أنه المكان المذكور في المخطوطات (راجع كتاب الكشف الأثري عن رفات القديس يوحنا المعمدان وأليشع النبي ــ الذي أصدره الدير) ــ المدفون به جسد أليشع النبي وجسد يوحنا المعمدان ، فقمنا بالصلاة ورفع القداس ، و بدأنا برفع الأتربة ، فعثرنا على العظام المذكورة . فأخرجناها بوقار عظيم ووضعناها في مقبرة البطاركة الموجودة بجري الخورس الثاني الآن فوق القبو المذكور.

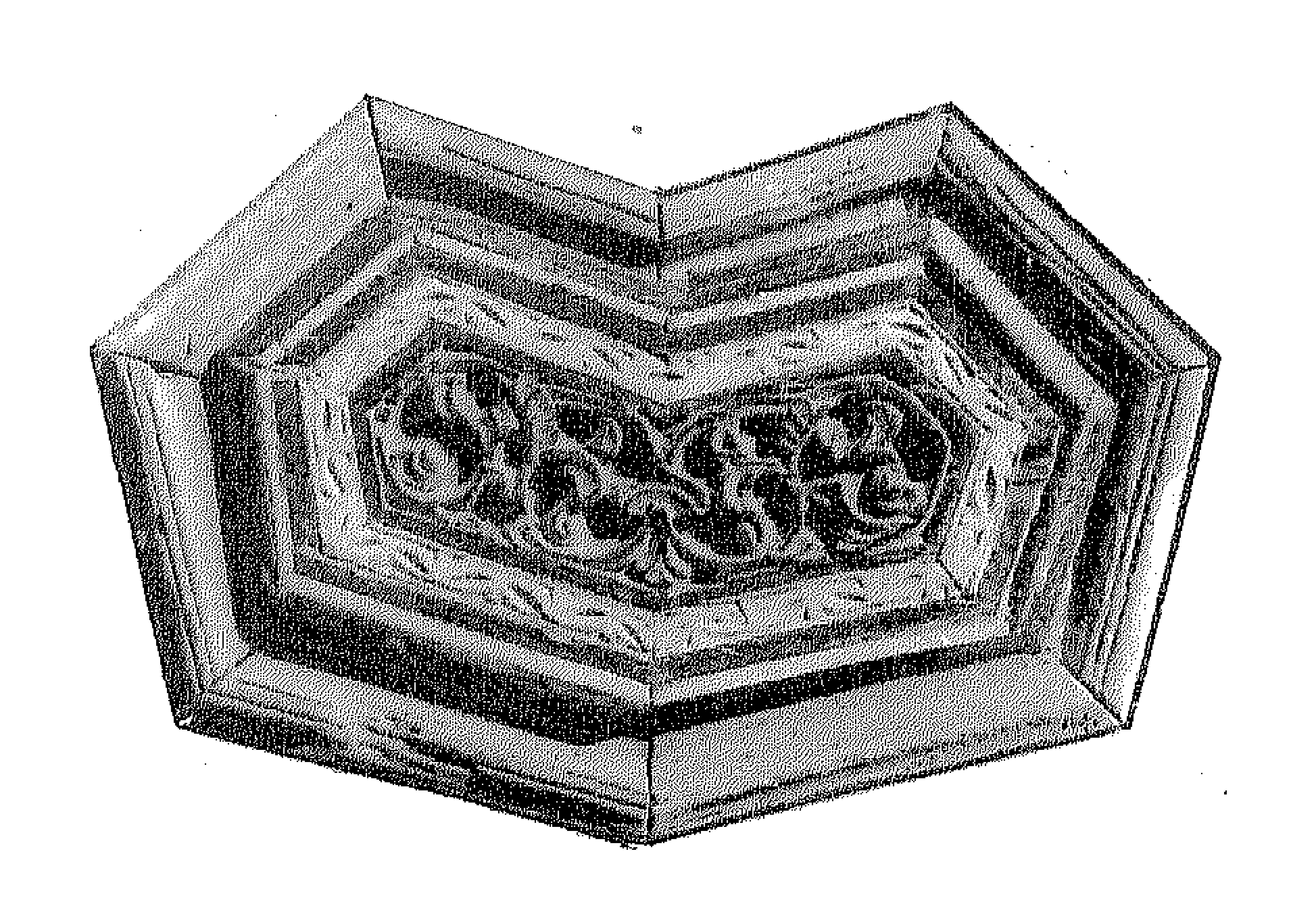


صورة قديمة لكنيسة أبنا مقارو وهي ملاصقة للسور ويظهر بها المنارة القديمة التي بنيت عام ١٩٢٩
(قبل الإصلاحات الأخيرة)

أول آلة بالديزل لرفع المياه وطحن الغلال :

قام بشرائها أنبا ابرآم مطران البلينا سنة ١٩٣١م (ماركة ناشيونال) ، وحفر بئراً على عمق ٤٦ متراً وعثر على مياه عذبة نوعاً ما لأول مرة في تاريخ الدير . واستصلح حوش الكنيسة وجعله حديقة ، واشترى طاحوناً ميكانيكياً للغلال بدل طاحون الحجر الذي كان يديره ثور بقر . وأدخل التيار الكهربائي داخل الدير .

ولكن كان نتيجة هذه الصحوة المعمارية منذ ١٩٢٠ــ١٩٣١ أن اكتظ الدير على ضيقه الشديد بالمباني المتلاصقة في غير نظام ، علماً بأن الدير في أصله حينما بدىء ببناء أسواره منذ القرن التاسع لم يكن أصلاً ديراً لسكنى الرهبان ، بل كنيسة وحصناً محاطين بأسوار لتكون ملجأ عند الغارات . كما أن إنشاء حديقة ، تُسقى بالمياه كل يوم ، ملاصقة للكنائس والأسوار المبنية بالطين والقديمة جداً ، تسبب في تصدُّع المباني جميعاً وإتلاف كافة قباب الكنائس الأثرية إتلافاً شديداً .



إحدى الحشوات المصنوعة من خشب الأبنوس المنقوش والمطعم بالعاج الأبيض ، وهي تكوّن جزءً من صليب دقيق الصناعة محفوظ حالياً في مكتبة الدير.

— ٦ —

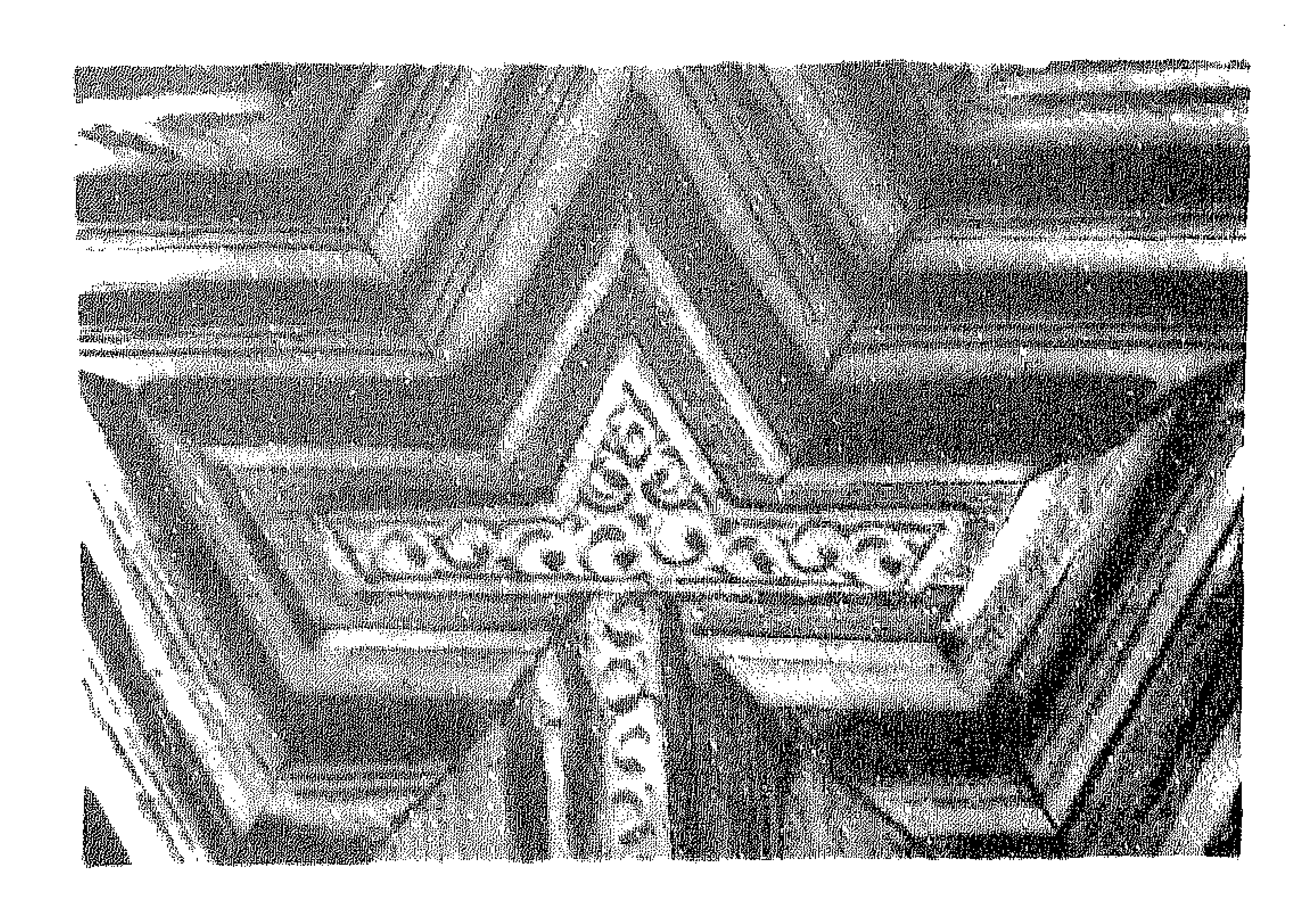
أهمُّ المعالم الأثرية في دير أنبا مقار...

كان همنا الأول أثناء عمارة الدير وترميمه الحفاظ على كل أثر قديم في الدير مهما قلّت قيمته ، بل وقد اكتشفنا أثناء الحفر وأثناء إزالة الجدران الحديثة بعض الأجزاء المعمارية والقطع الرخامية الأثرية القيمة التي كانت مطموسة داخل الأسوار أو خلف الطبقات الحديثة من البياض الجبسي السميك أو تحت التراب .

فمثلا عند دخولك الدير ونزولك على السلالم الكبيرة للوصول إلى كنيسة أنبا مقار ستعبر من تحت قوس أثري عظيم من الطوب الأحمر الجميل ، وهو عبارة عن مقوصرة ضخمة arch ، كانت هي المدخل البحري القديم لكنيسة أنبا مقار فيما قبل القرن التاسع ، و يرجح أنها من القرن السابع لأنها على نمط مقوصرة هيكل أنبا بنيامين الذي أُقيم في زمان البابا بنيامين (البطريرك ٣٨) في منتصف القرن السابع ، أي يقدر عمرها بأكثر من ١٣٠٠ سنة . وقد عثرنا عليها أثناء إزالة طبقات السور الذي بُدىء ببنائه وتعليته حول الكنيسة منذ القرن الرابع عشر ، وما أُضيف على هذا السور من طبقات ساندة أخرى خارجية ملاصقة بُنيت في القرون الحديثة ، نظراً لتداعيه بسبب إقامة مراحيض تحته مباشرة .

ولقد بذلنا مجهوداً فنياً لا يُصدّق إستغرق ستة أشهر حتى استطعنا أن نحصر هذا القوس الأثري العظيم المتداعي في كل أجزائه ، نحصره بطبقة حاملة من الخرسانة المسلحة من أسفله ومن أعلاه ، ونضمه من جانبيه بدعامتين من الخرسانة المسلحة ذات مدادات أرضية وكتفين من الحجر الضخم لحفظ توازنه ، بعد أن كشفناه من كل ناحية وفرغنا داخله من المباني التي كانت تسده . هذا الأمر الذي لما اطلع عليه مهندسو

الآثار تعجبوا كيف وقف لنا هذا القوس طائعاً مستسلماً وهو متهالك ، ثم كيف ضبطناه هكذا بهذه القوة . ولكن السر في هذا وفي غيره ، كانت الصلوات الكثيرة التي قدمناها لله من أجل انفتاح البصيرة والمعونة الإلهية .



أحد أطراف الصليب (المنشورة صورته صفحة ٣٢) ويبدو فيه دقة وجمال النقش على العاج الأبيض المطعم في خشب الأبنوس .

١ ـــ كنيسة أنبا مقار

أ ـــ هيكل أنبا مقار

أثر خالد بدأت نواته الأولى سنة ٣٦٠ م جذب إليه الأجيال المتلاحقة ، والذي منه انطلقت إلى السماء مئات الألوف من النفوس التقية لتكميل شهادتها للمسيح في السماء بعد أن شهدت في الأرض .

أُعيد بناؤها في أيام البابا بنيامين (البطريرك ٣٨) في زمن دخول العرب ، ودشنها هذا البابا بدعوة من شيوخ البرية سنة ٦٥٥ م ، ولا يزال هيكلها الكبير المعروف بهيكل أنبا مقار بقبته الضخمة قطر ٨ متر على طوبة واحدة ، و يدعى أيضاً باسم « هيكل أنبا بنيامين » منذ يوم دشنه حتى اليوم . ولكن قبته تساقطت عدة مرات ورُممت عدة مرات ، والناظر إليها بتدقيق يستطيع أن يعد مرات السقوط والترميم لاختلاف لون « المونة » .

والكنيسة الآن لا تحمل من أجزائها الأثرية الأولى سوى هيكل أنبا بنيامين وهيكل يوحنا المعمدان (أو مار مرقس) فقط .

كانت يوم دُشِّنت ذات بهجة وجلال بسبب جمال الصور والنقوش والأعمدة الرخامية ، و بسبب ارتفاعها واتساعها ، لأنها كانت تمتد من الجهة الغربية حتى كنيسة الشيوخ الشهداء التي كانت أصلاً جزءً من كنيسة القديس أنبا مقار .

وقد قامت بعثة الآثار الفرنسية بقيادة مسيو لوروا بالتقاط هذه الصور بعدساتها الالكترونية في كل من هيكل أنبا بنيامين وهيكل أنبا مقار ، وسجلت عن قرب بعض الشخصيات التي بقيت واضحة . (انظر اللوحات صفحتي ٥٢ و ٥٥ .) وهي برغم ما أصابها من عوامل التعرية من شمس ومطر ورمال ورياح بسبب سقوط القباب وبقائها مهدمة لعدة مئات من السنين (من القرن الرابع عشر حتى بداية القرون الحديثة) ، لكن لا تزال بعض هذه الصور محتفظة بأدق الملامح وأزهى الألوان .

ونوجه نظر الزائر إلى هيكل أنبا بنيامين (المعروف بهيكل أنبا مقار) حيث صورة الشاروبيم الحامل للقبة في المقرنصة الشرقية البحرية (نصف قبو زاوية حامل للقبة) .

و يلاحظ من سيرة أنبا مقار أن الشاروبيم هو القوة الإلهية التي ظهرت له ورافقته مدى الحياة ، لذلك فلا عجب إن كان هو الموضوع الأول الذي ركز عليه أنبا مقار بدرجة ملحوظة جداً في عظاته الخمسين ، كذلك ومن أجل هذا لم يفت على الراهب المصور في القرن السابع أن يصور الشاروبيم حاملاً قبة هيكل أنبا مقار .

وننبه ذهن الزائر أن هذه أقدم وأوضح صورة في العالم للشاروبيم بميزاته الواردة في الأسفار المقدسة حزقيال وأشعياء ورؤيا يوحنا اللاهوتي .

لاحظ وجه الأسد عن الشمال ، ووجه الثور عن اليمين ، ووجه النسر من أعلى ، ووجه الإنسان في الوسط . ولاحظ العيون الكثيرة .

و ينبغي أن ينتبه الزائر إلى أن قباب الكنيسة كانت مرتفعة بمقدار متر عما هي عليه الآن ، وذلك بسبب ما تم من ردم أرضية الكنيسة بطبقة سمكها متر تقريباً[1] .

كذلك يلاحظ الزائر مدخل الهيكل ، وهو عبارة عن قوس عظيم مبطن بالخشب المرسوم عليه أيقونات يمثل بعضها المسيح في كل أدوار حياته . وكان هذا هو التعبير الطقسي القديم في الفن القبطي عن الحجاب ، حيث ليس هو حجاباً يحجب الله عن الناس بل سحابة من الشهود .

ب ــ هيكل يوحنا المعمدان (أو مارمرقس)

سمي كذلك لأن جسد يوحنا المعمدان الذي حُمل من فلسطين في أيام القديس

---

(١) لقد قمنا برفع هذه الطبقة من الأتربة التي سمكها نحو متر، ونزلنا إلى المستوى الأصلي لأرضية الكنيسة ولكننا لاحظنا وجود أرضية أخرى أقدم أسفل هذه الأرضية بحوالي ٤٠ سم تقريباً .

أنبا أثناسيوس الرسولي ، ودُفن في الإسكندرية ، ثم نُقل منها ودُفن في دير أنبا مقار أيام الإضطهاد . وقد عثرنا أثناء حفر أرضية الخورس الأول وأمام هذا الهيكل وعلى مسافة تحت الأرض على قبو من الطوب القديم وتعمقنا أسفله فوجدنا هذه الرفات الطاهرة ورفعناها مع باقي عظام أخرى وتابوت به هيكل جسدي كامل . وقد أصدر الدير تقريراً وافياً تفصيلياً عن هذا الكشف الأثري وكافة الدلائل التاريخية القديمة .

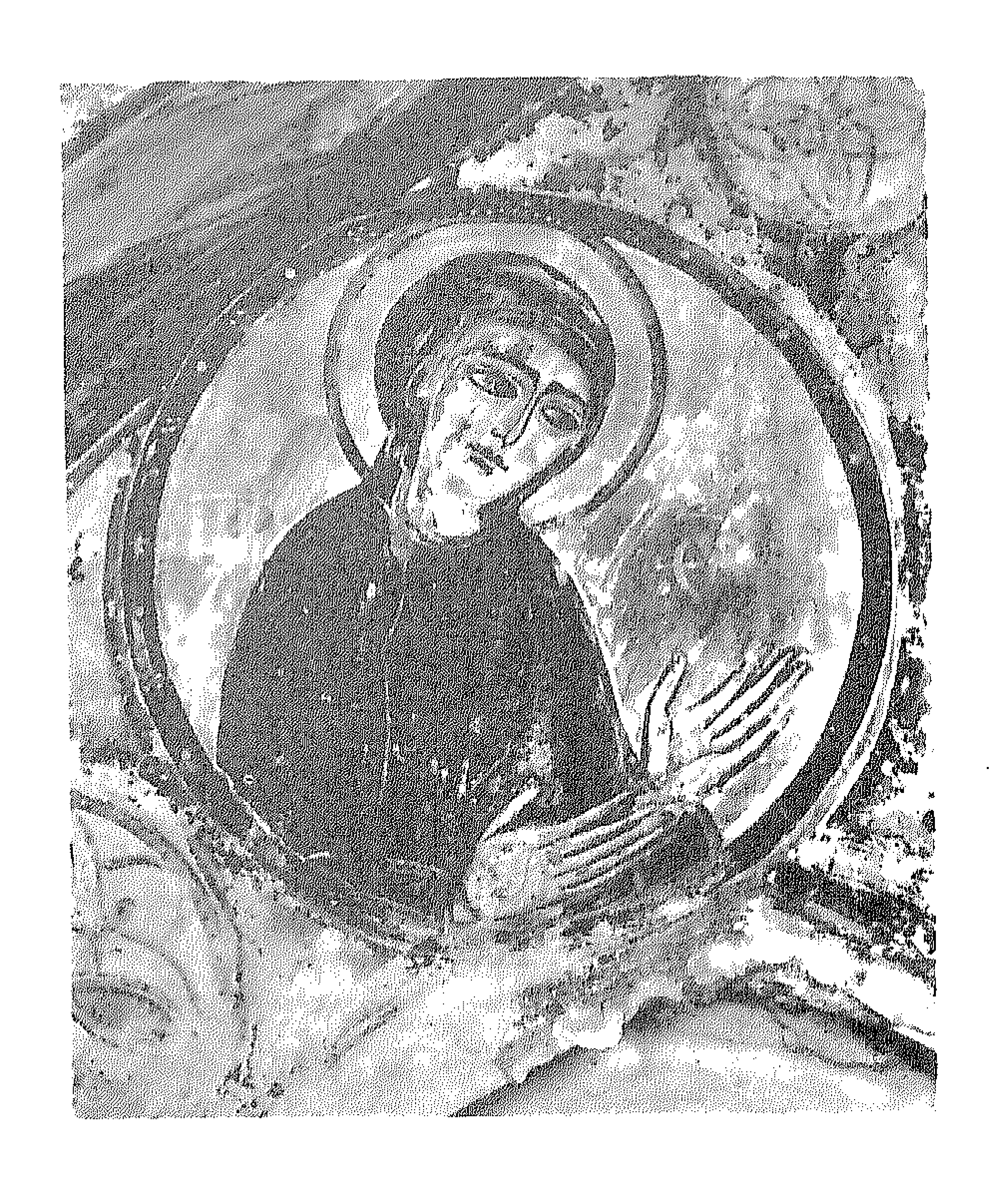
ولما حُملت رأس القديس مار مرقس ودُفنت في هذا الهيكل ، حملت الكنيسة كرامة رسولية من ذلك التاريخ وسميت بالكنيسة الجامعة . وأصبح إسم مار مرقس يتبادل مع إسم يوحنا المعمدان لهذا الهيكل .

والباحث المدقق يلاحظ تلازم وجود جسدي يوحنا المعمدان ومار مرقس الرسول في هيكل واحد في دير القديس أنبا مقار ، يرادفه توارد هذين الإسمين الكريمين في القداس في بداية المجمع ، مما يشير إلى أن « المجمع » من وضع رهبان دير القديس أنبا مقار .

ولا تزال الصور الرائعة التي زُيِّن بها هيكل يوحنا المعمدان تحتفظ بألوانها الزاهية ودقتها المتناهية رغم سقوط قبته وبقائه في العراء عدة مئات من السنين .

ويلاحظ الزائر أن أمام هيكل يوحنا المعمدان يوجد هيكل صغير ويسمى « بالهيكل الصغير » . وهو وإن كان قد حتَّمت به الضرورة الهندسية لتفادي بناء قبة الهيكل الكبير على زاويا خشبية أو مقرنصات (نصف قبة) ، ألا أنه معروف في الطقس القبطي المعاصر لزمن البابا أثناسيوس الرسولي أنه كان يوجد بجوار الهيكل هيكل صغير لحفظ القربان قبل تقديمه ولأكل بقايا الذبيحة الطاهرة ، ويسمى في الطقس « موضع الذورون » أي « موضع الصعيدة » .

أما في هيكل أنبا مقار فـ« موضع الذورون » هو بجانبه من الناحية القبلية وليس أمامه ، ويسمى في التقليد ـ « غرفة المجلس » إشارة إلى الموضع الذي كان يجلس فيه الأساقفة والشمامسة لتناول ما يتبقى من الذبيحة بعد مناولة الشعب (الرهبان) .



صورة أثرية للعذراء مريم
بهيكل القديس يوحنا المعمدان بدير القديس
أنبا مقار

ج ـ أجساد القديسين

١ ـ أجساد المقارات الثلاث وأنبا يوأنس القصير:

أما المقارات الثلاث فهم: المصري المدعو بالكبير، والإسكندراني، المدعو بالمدني (نسبة إلى المدينة العظمى الإسكندرية)، وأسقف ادقاو الشهيد (ادقاو مدينة بجوار أسيوط).

وتُرسم هذه الشخصيات المكرمة في الأيقونات الأثرية هكذا:

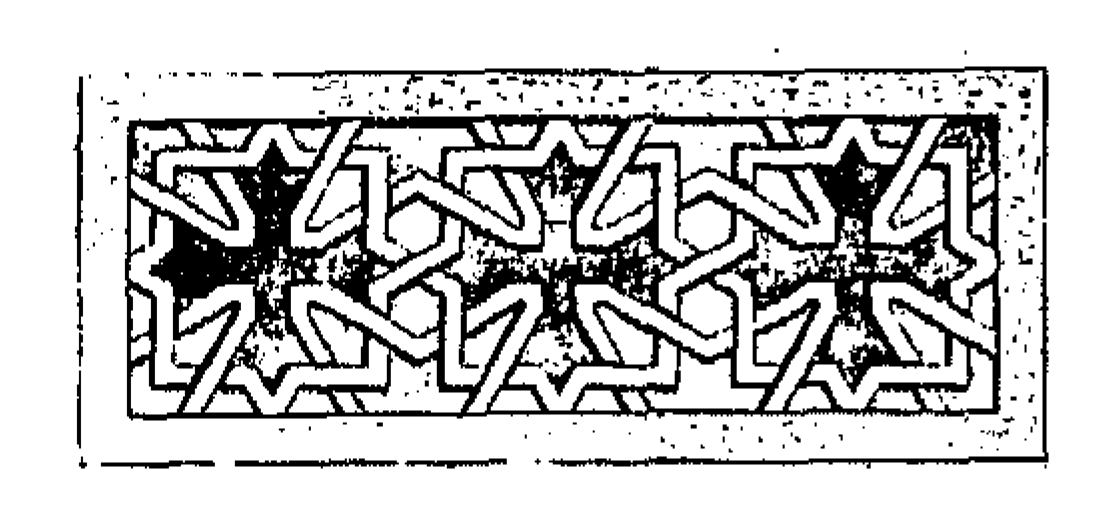
ـ أنبا مقار الكبير المصري حاملاً صليباً (رمز الجهاد والإماتة وبذل الذات).

ـ أنبا مقار الإسكندراني حاملاً سلماً (رمز شغفه باقتناء الفضائل على درجات).

ـ أنبا مقار أسقف ادقاو حاملاً على ذراعيه حَمَلاً صغيراً (باعتباره راعياً وباعتباره شهيداً سيق إلى الذبح كسيده لذلك ترسم ثيابه بيضاء اللون).

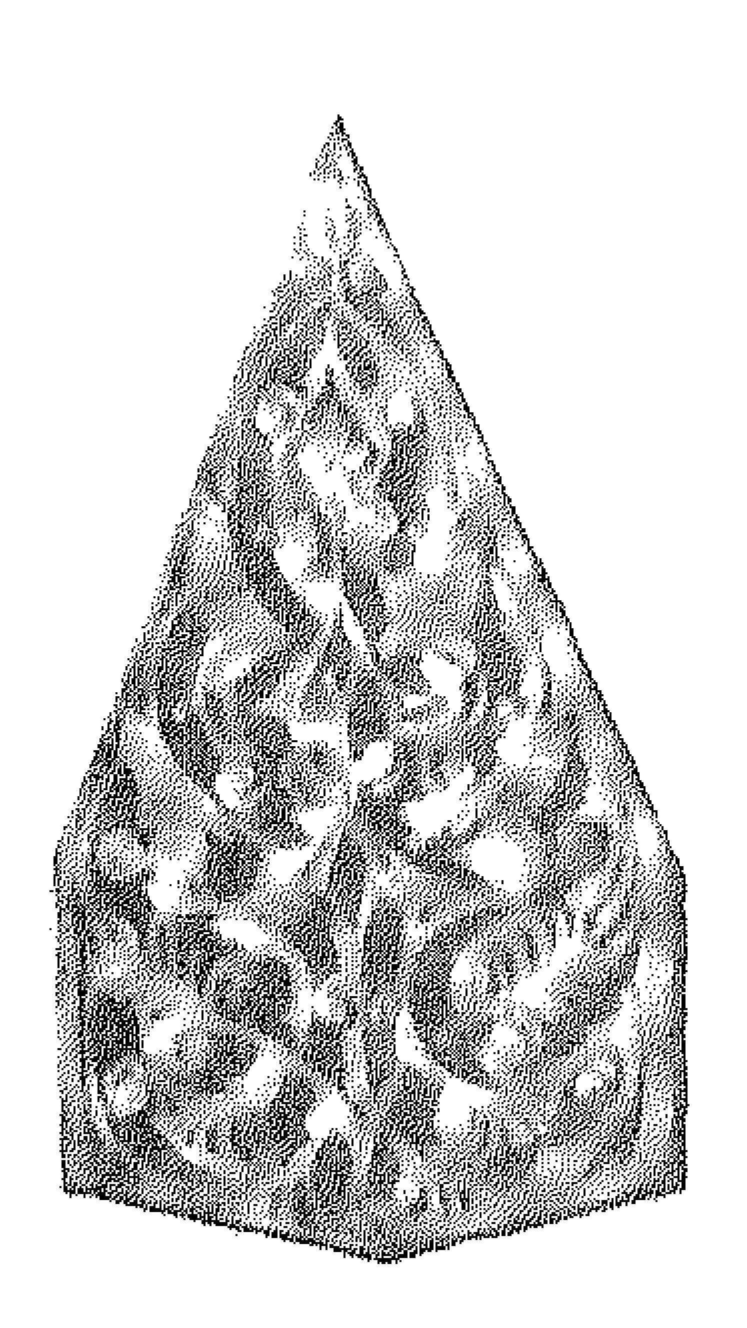
وقد أجرى الله معجزات كثيرة بتشفعات هؤلاء القديسين على مدى العصور والسنين حتى يومنا هذا.

أما جسد أنبا يوأنس القصير، فقد تم نقله إلى مقصورة خاصة به في كنيسة الشهيد أبا سخيرون، والقديس يوأنس القصير هو إبن أنبا مقار من الرعيل الثاني، ورئيس جماعة الرهبان العظيمة التي كانت تتبعه. وكان مشهوراً بإتضاعه وأبوته الحكيمة. ومقر رهبانيته كان جنوب غرب دير أنبا مقار بمقدار ١٥ كيلومتراً. ولما تخرَّب ديره نقلوا جسده إلى دير القديس أنبا مقار.



٢ ــ أجساد البطاركة :

وعددهم بحسب جدول البطاركة ما يقرب من ستة عشر من البابوات وكلهم من رهبان الدير أصلاً ، وقد أوصوا بدفن أجسادهم في ديرهم(١) ، لا تعصباً للمكان ولكن تفاؤلاً بقربهم من شفيعهم وأبيهم الأول ، وحنيناً منهم إلى موطن جهادهم ودموعهم وسهرهم في شبابهم «لأن عبيدك قد سُرُّوا بحجارتها وحنوا إلى ترابها» (مز١٠٢ : ١٤) .



قطعة من العاج المنقوش .
ربما تكون واحدة من ستة وتسعين قطعة مماثلة كانت تزيّن ضلفتي حجاب هيكل إحدى كنائس الدير ــ وهما الآن محفوظتان في الدور الأرضي بالحصن .

(١) وكانت الأجساد ــ سواء التي للشهداء التسعة والأربعين أو البطاركة ــ في العصور الأولى إلى ما قبل القرن الثالث عشر خارج أسوار الدير في دير صغير لهم بقرب دير زكريا (أنظر كتاب طبخ الميرون) ، ولكن بعد أن تجمع الرهبان داخل الأسوار أدخلوا الأجساد معهم وظلت تتنقل من مكان لمكان إلى أن قمنا بجمعها معاً في مقصورة واحدة في الخورس الثاني لكنيسة أنبا مقار . و يبدو أن هذه المقصورة كانت في السابق مبنية لهذا الغرض لأن موقعها هو فوق القبو تحت الأرض الذي عثرنا فيه على عظام أليشع النبي و يوحنا المعمدان ، كما وجدنا تابوتاً كاملاً لجسد محنط كامل مدثراً في ملابس الخدمة .



وجه السيد المسيح

داخل عقد بالجهة الشرقية من هيكل يوحنا المعمدان ـ كنيسة أنبا مقار

٢ ـ كنيسة الشهداء التسعة والأربعين
شيوخ شيهات

من حيث المبنى كانت في الأصل جزءً من الأجزاء الغربية لكنيسة القديس أنبا مقار، أما من حيث المحتوى ، فقد جمعت جواهر ثمينة لا تقدر بمال .

فهذه الكنيسة تحمل ذكرى إيمان حي وشهادة بسفك الدم ، هو ميراث للدير أثمن من الذهب الفاني !!

في الغارة الثالثة على الدير، لما هجم عربان البادية على الرهبان ، هرب معظمهم وتحصنوا في الجوسق ـــ أي الحصن ـــ ورفعوا السقالة . ولكن تسعة وأربعين من الرهبان القديسين تشجعوا بالإيمان وقهروا الخوف ورفضوا النجاة مع رئيسهم العظيم المكرم أنبا يوأنس القمص ، ووقفوا باستعداد تقديم الشهادة ، فلما طُلبت قدموا رقابهم سهلة طائعة للسيوف اللامعة دون أدنى إنزعاج ، لأنهم رفضوا النجاة بغية قيامة أفضل وحياة أفضل ...

في لحظة من لحظات النهار، وفي ومضة من ومضات السيف . غابت عنهم شمس النهار، وغاب الدير كله ، وغابت الأرض والأسوار، وفجأة انفتحت أعينهم على أمجاد ليست من هذا الدهر، وعلى نور عجيب ، إنه وجه يسوع ... نهاية المطاف ، فكان هو نهارهم وشمسهم وديرهم الجديد وأجرتهم السعيدة ! ...

وأما الذين هربوا فقد ماتوا هم أيضاً جميعاً إن لم يكن بالسيف فبغيره ، ولا نعلم من سيرتهم شيئاً سوى أنهم لم يكونوا على مستوى الشهادة .

وأما هؤلاء الشهداء فلا يزال دمهم يتكلم أفضل من هابيل ، يدافعون عن الدير بقوة واقتدار ضد كل من يخون أو يتعدى ، و يتشفعون عن كل من يتشفع بهم ، ويجرون معونات وتعزيات على مدى الأجيال كلها ، سجلها لهم التاريخ . وقد نلنا نصيبنا من معونتهم نحن أيضاً في حينها الحسن .

٣ ـ قبة الميرون

أثر جليل القدر يحكي عن ميرون (*) دير القديس أنبا مقار، وكيف حلت به البركة على كل مولودي نساء مصر ومسحت به كل أباطرة الشرق (أثيوبيا بالذات) وكل أدوات الكنائس .

وقبة الميرون هي أصلاً من كنيسة القديس أنبا مقار الأولى ، حيث موقعها هو فوق الكنيسة في الركن البحري الغربي ، بنيت خصيصاً لتكون بمثابة عُلِّية ، و بُدىء بتكريس الميرون فيها منذ أن نقل باباوات الإسكندرية مقر كرسيهم من الإسكندرية إلى دير القديس أنبا مقار بعد المجمع الخلقيدوني مباشرة ، أي في نهاية القرن الخامس . وظل الميرون المقدس يُطبخ باحتفال عظيم ومهيب يحضره معظم الأساقفة تحت هذه القبة الطاهرة حتى منتصف القرن الرابع عشر ، أي ظل ميرون مصر كلها يخرج من دير القديس أنبا مقار قرابة تسعة قرون متوالية ، حيث صُنع آخر طبخة مقدسة للميرون على يد أنبا بنيامين الثاني سنة ١٣٣٠م .

وكان ميعاد طبخ الميرون في العصور الأولى هو يوم الجمعة ختام الصوم الأربعيني ، ولكن نُقل هذا الميعاد بعد ذلك وصار محدداً في الطقس بيوم خميس العهد ، وهو يوم تأسيس سر الشكر (الإفخارستيا) .

(*) زيت الميرون يختلف عن زيت مسحة المرضى ، فالميرون يُستخدم على يد الأساقفة أصلاً في سر العماد ـ التثبيت ، ولإعطاء مواهب الروح القدس للمعمدين والملوك ، ولتقديس أواني الخدمة وجرس الكنيسة .

وهو ليس زيتاً ساذجاً بل يُضاف إليه أنواع من البلسم وأصناف من العطور و يُطبخ حسب أصول الصلاة على يد البطريرك ومعه الأساقفة والشمامسة ، بالتسليم وبمواصفات دقيقة ، وهو مستخدم في الكنيسة منذ العصور الأولى ، وله كتاب طقسي خاص بطبخه ، وقد ذكره ترتليان والقديس أمبروسيوس والمؤرخ ثيئوذوريت والقديس كيرلس أسقف أورشليم . وكانوا يسمونه المسحة السرية τὸ μυστικὸν χρῖσμα والمسحة المقدسة ، وأسماه القديس أغسطينوس سر المسحة ، وغريغوريوس الكبير أسماه « مسحة الخلاص » . أنظر: *Oxford Dict. of the Church p. 274.*

٤ ــ كنيسة الشهيد أبّاسخيرون

(إسم أبا « سخيرون » معناه الأب القوي)

وهو شهيد قبطي ، شفيع مقتدر، إستشهد في زمان اضطهاد دقلديانوس بعد أن تعذب من أجل الإيمان عذابات مريعة تفوق العقل والوصف حيث شُقت بطنه .

وهذه الكنيسة كانت أصلاً جزءً من كنيسة القديس أنبا مقار من الجهة القبلية ، وكانت على الأرجح هيكل الثلاثة فتية القديسين . وقد رممت بعد سقوط كنيسة القديس أنبا مقار وصارت كنيسة قائمة بمفردها .

وكانت هذه الكنيسة متصلة قديماً بكنيسة أخرى قبلي الدير تسمى كنيسة المغبوط أريستوماخس التي استولى عليها جماعة الغيانيين المنشقين في وقت من الأوقات (سنة ٥٣٥م) .

وتهدمت كنيسة أبا سخيرون بعد ذلك ولم يبقَ منها إلا خورسها الغربي الذي رُمم وصار مائدة للدير. والمائدة القديمة الحالية هي جزء منها .

قبة أباسخيرون الرائعة والباب الجميل :

هذه القبة هي إحدى روائع الفن المعماري ، ومن أجمل الآثار في الدير، وهي من الطراز المسمى بالقبة الرباعية .

و يلاحظ أن القبة لا تتناسب في مركزها الهندسي مع مدخل الهيكل الأساسي المتوسط ، مما يفيد أنها بنيت كرامة لهذا الهيكل بعد سقوط صحن الكنيسة . فالهيكل أقدم من القبة . وقد لوحظ أن المذبح المتوسط في الهيكل مغلق من جميع الجهات ، ولم نشأ أن نفتحه ، و يُعتقد أن به جسد الشهيد أباسخيرون أو أحد الأجساد الكريمة الأخرى (حسب الطقس القديم جداً الذي يوصي بوضع أجساد الشهداء تحت المذبح) .

وقد لاحظنا أثناء ترميم القبة التي فوق هذا الهيكل المتوسط أنها تشابه في الروح الهندسية وكثرة الفتحات المتناسقة قبة أنبا بنيامين ، إنما على حجم أصغر، مما يزيد في إعتقادنا أنها من آثار القرن السابع .

الباب الجميل :

وهو الموجود بالخورس الأول من الجهة البحرية ، وكان يفتح على صحن كنيسة أنبا مقار الأولى . ولكن بإقامة الجدار الفاصل ، أصبح هذا الباب يحصر داخله غرفة صغيرة وكأنها مقصورة جميلة ، رأينا أن نخصصها لجسد القديس يوأنس القصير أحد أولاد أنبا مقار.

وقد صمم الباب بزخرفة دقيقة وبديعة من الطوب الطبيعي يلفت الأنظار. وهذا يزيد من اعتقادنا بأن كنيسة أبا سخيرون الحالية بهيكلها وقبتها الرائعة تحمل ذكرى هامة كأثر خالد ، مما حدا بالمهتمين بعمارة الدير حتى في العصور الوسطى إلى إعطاء أولوية العناية لهذه الكنيسة .

خوض زيت مسحة المرضى :

بالهيكل القبلي لكنيسة أبا سخيرون ، وفي الناحية الشرقية البحرية من المذبح مصطبة بارزة وعليها حوض من الحجر شبه الرخام ، وجدنا به طبقات متصلبة من زيت زيتون متجمد بشدة (قاوم « الأجنة » عند محاولة رفعه) . وقد علمنا من الطقس أنه حوض لزيت مسحة المرضى حيث كان طقس الكنيسة يحتم وجود زيت على المذبح أثناء تقديس الذبيحة ، حيث يُقرأ عليه أوشية المرضى ثم يدهن به جميع المرضى في الكنيسة الذين كانوا يقيمون في بيت خاص يلحق بالكنيسة (البيمارستان) ، ويجرى عليهم الصلاة والمسح بالزيت بعد كل قداس (أنظر قوانين القديس أثناسيوس)

ويعتبر هذا الأثر ذا قيمة طقسية كبيرة لأنه يحكي ترتيب الصلاة على زيت مسحة المرضى مع كل قداس كقانون .



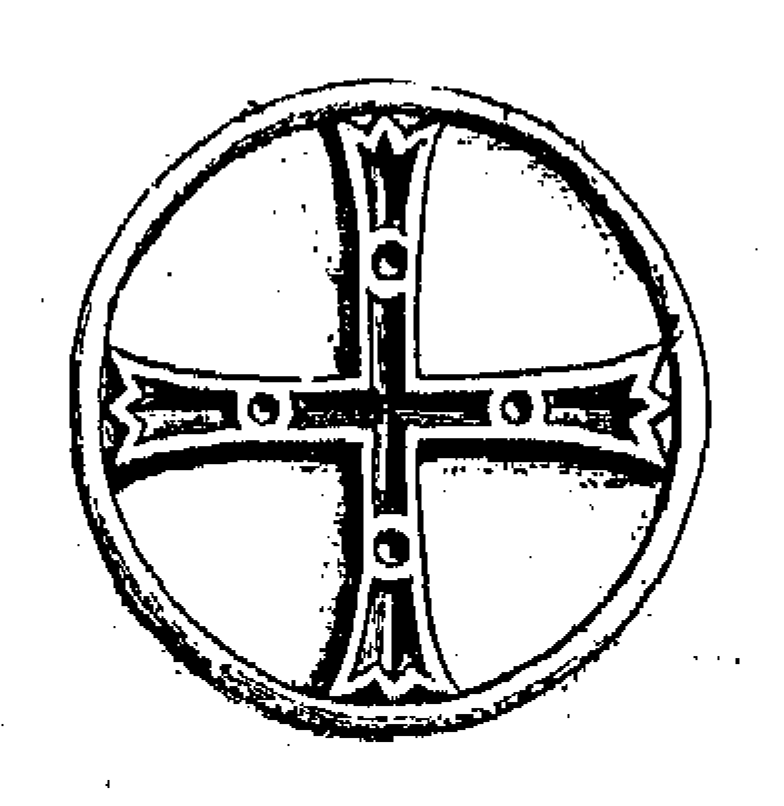
حوض الميرون ــ الهيكل القبلي ــ كنيسة القديس أبا سخيرون الشهيد

الغرفة الضيقة المسحورة ذات المقببات الصغيرة :

و يوجد شرقي الهياكل لكنيسة أبا سخيرون مجموعة غرف صغيرة كان يعسر جداً على أي راهب مجازف الدخول إليها أو التواجد داخلها ولو لدقائق ، فهي مردومة حتى سقفها بالتراب ، مغلقة من كل الجهات ، عديمة المنافذ ، شديدة الظلام .

وقد قمنا برفع الأتربة ورفع البوص والجريد من سقفها ، وتبين لنا أن أهم هذه الغرف هي غرفة علوية أثرية تعلوقبواً أثرياً ، وهما معاً في غاية الدقة والمتانة والإتقان .

والعجيب أن هذه الغرفة مفتوحة من الجهة القبلية فتحة غير أصولية في منتصف جدارها ، مما يفيد أنها كانت مغلقة من جميع الجهات . و يظن ، بسبب هيئتها الجليلة هذه ، أنها كانت مخزناً طارئاً للميرون(*) وأنها صُمِّمت لكي لا يمكن أن تصل إليها أيدي العابثين حتى تظل كمية من الميرون في أمان في حالة الهجوم على الدير.



(*) علماً بأننا عثرنا في أماكن مستترة كثيرة على أواني من الفخار بها آثار الميرون من عصور سالفة غارقة في القدم و يدل على ذلك شكل الأواني الفخارية ذاتها .

كما عثرنا على آنية ثمينة للغاية من الألباستر الخالص كبيرة الحجم يظن أنها كانت معدة لاحتواء العطور الخاصة بصناعة الميرون

٥ ـ الحصن

و يعرف قديماً باسم « الجوسق » أو « البرج » أو « القستلية » Castle

وهو من أقدم الآثار الهامة الموجودة بالدير، وأعظم وأضخم كافة الحصون الموجودة بالأديرة القبطية .

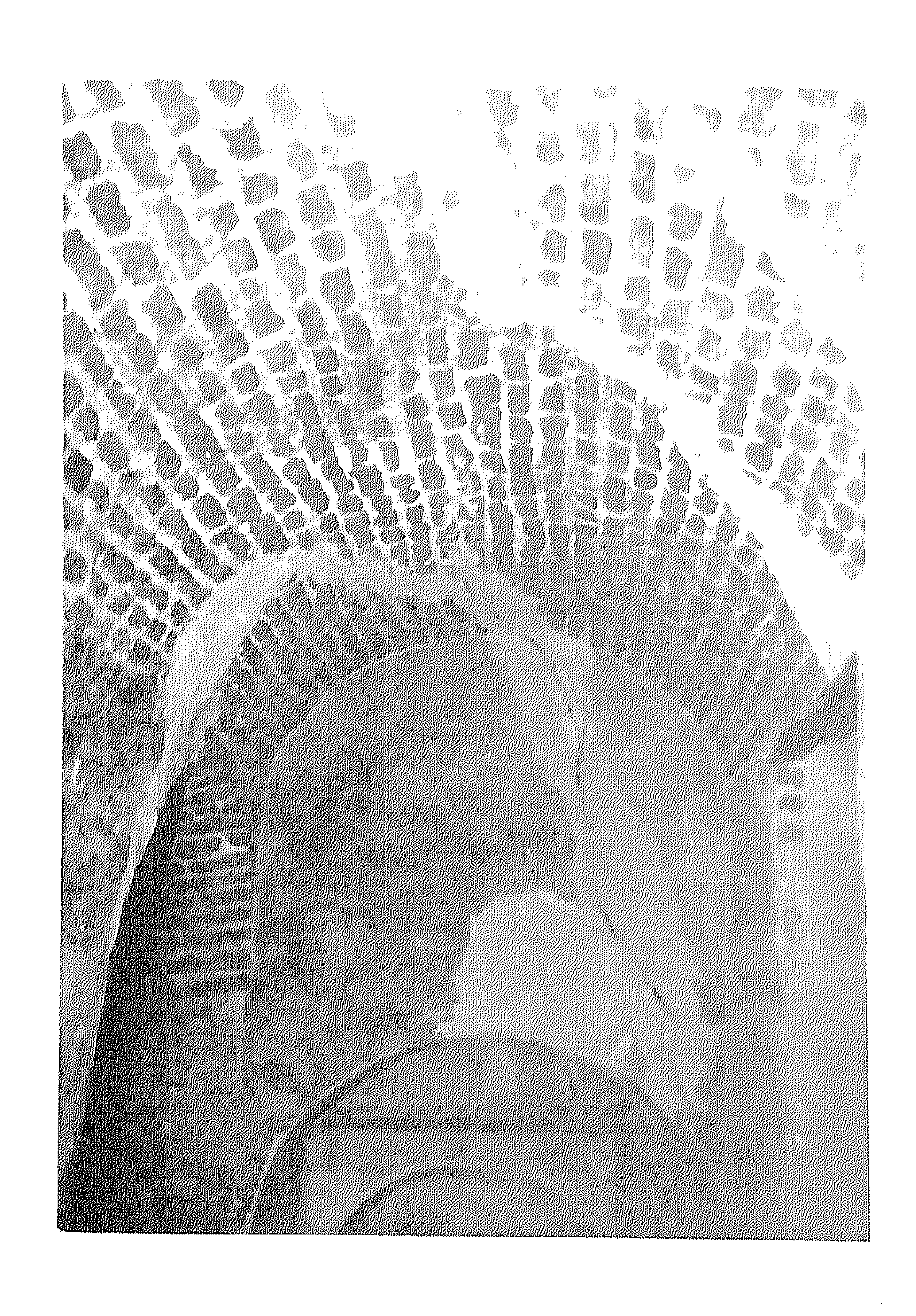
بُني بييد عزيزة مقتدرة . فهو من جهة مبانيه وهندسته وضخامة حجارته وسمك جدرانه وهيبة أقبيته وارتفاعه يكشف عن هوية بانيه بلا أي مزيد من برهان ، فقد بناه الملك زينون سنة ٤٨٢ م . على يد مهندسين أرسلهم لدير أنبا مقار خصيصاً لذلك ، لما علم أن إبنته الأميرة إيلارية التي اختفت من قصره فجأة ، قد التجأت إليه وترهبت فيه على يدي أحد تلاميذ أنبا مقار وعاشت متخفية بإسم الراهب إيلاري الخصي حتى ماتت . وقد أغدق الملك زينون بعد ذلك كثيراً على ذلك الدير وعلى كل أديرة مصر تكريماً لذكرى إبنته التي فضلت الحياة والموت مع رهبان مصر أكثر من التنعم في قصور الملوك .

والحصن من ثلاثة أدوار، يفصله عن السلالم المؤدية إليه سقالة متحركة كانت تُرفع بعد أن يلتجيء الرهبان إليه و يدخلون فيه .

الدور الأرضي غرف متسعة كانت تستخدم مخازن ذات أقبية عالية مهيبة ، وفي نهايتها من الجهة البحرية بئر ماء كان يستقي منه الرهبان أثناء الغارة .

والدور الثاني نصفان ، النصف الشرقي منه عبارة عن كنيسة واحدة بإسم السيدة العذراء ، ذات ثلاثة مذابح . و يوجد بحجابها الأوسط باب يفتح على الهيكل ، وعلى كلتا ضلفتيه رسم لطاؤوس ، رمز الخلود ، مع نقوش أثرية بديعة .

أما النصف الغربي فهو غرف استخدمت في العصور المتأخرة لعصر الأباركة وزيت الزيتون . وفي الغرفة القبلية فتحة سرية في أرضية الغرفة توصل إلى مخبأ سري كان



قبو سلم الحصن وتظهر فيه آثار الشقوق والتصدعات

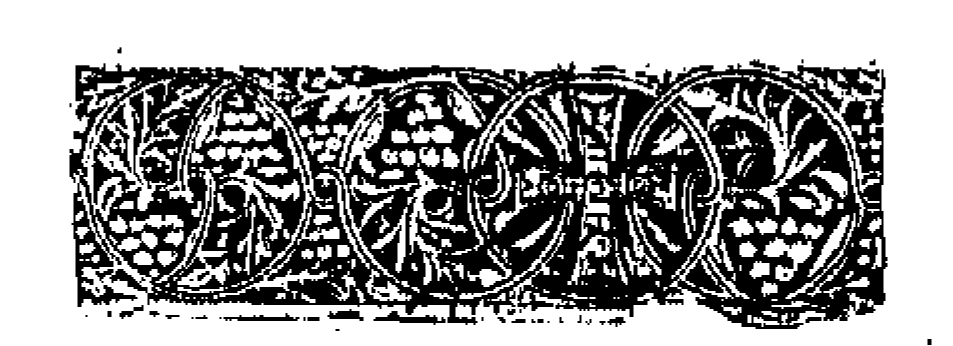
يُستخدم لحفظ المخطوطات .

وفي الدور العلوي من الجهة البحرية كنيسة بإسم الملاك ميخائيل حارس الحصن ، ومرسوم على حائطها حراس إضافيون من الشهداء هم بقطر الشهيد إبن رومانوس وأوسابيوس وواسيليدس و يسطس وأبالي وثاوكليا امرأة يسطس وأم أبالي . وحجاب كنيسة الملاك عبارة عن تجميع لقطع أثرية من أماكن وعصور متعددة . وكلها آية في الدقة والفن القبطي .

و يليها كنيسة أنبا بولا وأنبا أنطونيوس شفيعي الطريق الرهباني .

أما الكنيسة القبلية فهي كنيسة السواح . والمعروف أن السواح هم أيضاً مدافعون بالدرجة الأولى في زمن الضيق والإضطهاد . وهم بالترتيب حسب صورهم المرسومة على الحائط : أنبا صموئيل المعترف رئيس دير القلمون ، أنبا يوأنس قمص شيهيت ، أبو نوفر ، أنبا أبرآم ، أنبا جاورجي (رفيقه) ، أنبا أبوللو ، أنبا أبيب ، أنبا ميصائيل السائح ، أنبا بيچيمي .

أما سطح الحصن فالمعروف أنه كان يستخدم مركزاً للمراقبة والإستطلاع لمعرفة القادمين إلى الدير من بعد ، حيث كان « المرقباني » وظيفة أساسية مثل وظيفة البواب ، وكان يُنتقى من أصحاب البصر الخارق . وكان يحتكر هذه المهنة جماعة من رهبان الصعيد يتناوبون الحراسة ليل نهار . فإذا لاح أي خطر يدقون الناقوس ـــ وكان في القرون الأولى عبارة عن قطعة ضخمة من مسطح خشبي شديد الصلابة ـــ يدق عليها بمطرقة فيخرج منها دوي يتردد صداه حتى أطراف البرية . ووظيفة الناقوس في الدير أصلاً هي لدعوة المتوحدين العائشين على مسافات بعيدة للحضور أو إنذارهم بالخطر .





صورة الباب البحري العمومي
وعلى جانبيه مباني المضيفة



المكتبة وكنيسة السيدة العذراء والقديس بولس الجديدة
(التي ساهم في بنائها المتنيح الخواجا بولس باسيلي)



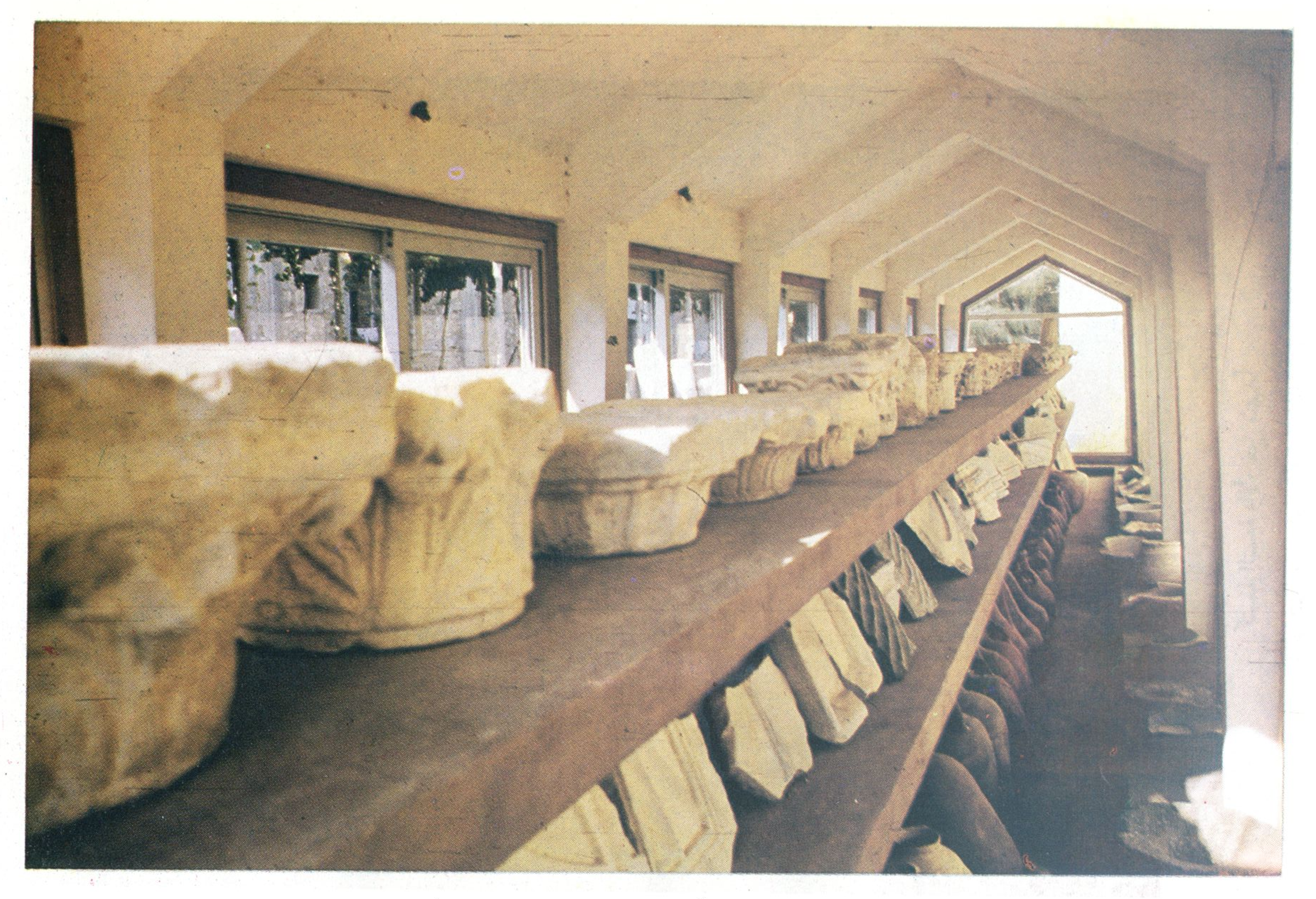
الشاروبيم: القوة الإلهية التي رافقت القديس أنبا مقار كل أيام حياته
(الركن الشرقي البحري لهيكل أنبا بنيامين في قاعدة القبة ــ كنيسة أنبا مقار)



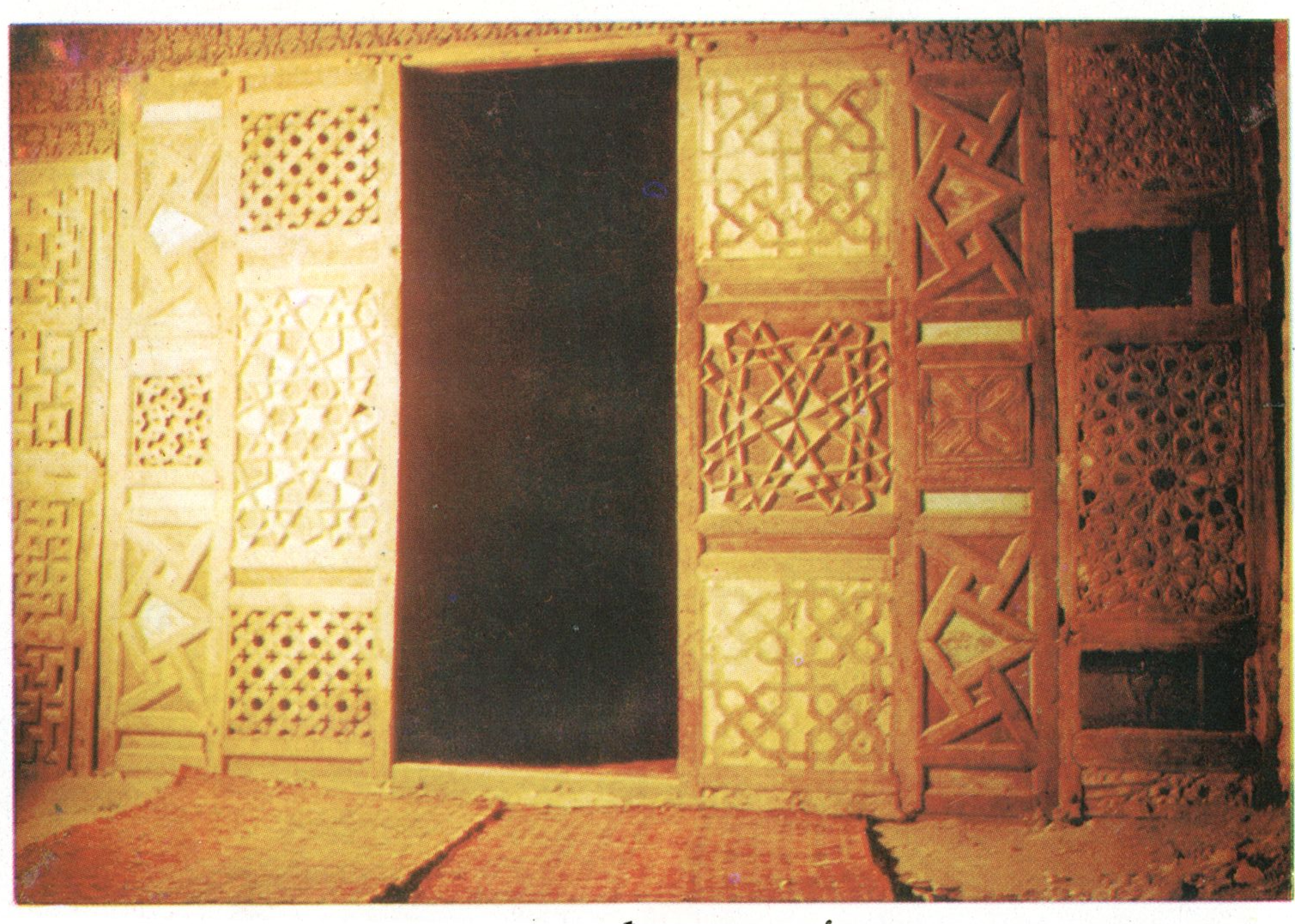
رسوم أثرية اكتشفت حديثاً في الجانب القبلي من هيكل أنبا مقار
(في أسفل الحائط الشرقي لهيكل الثلاث فتية)



كنيسة التسعة والأربعين شهيداً
(الواجهتان الشرقية والقبلية والمدخل)



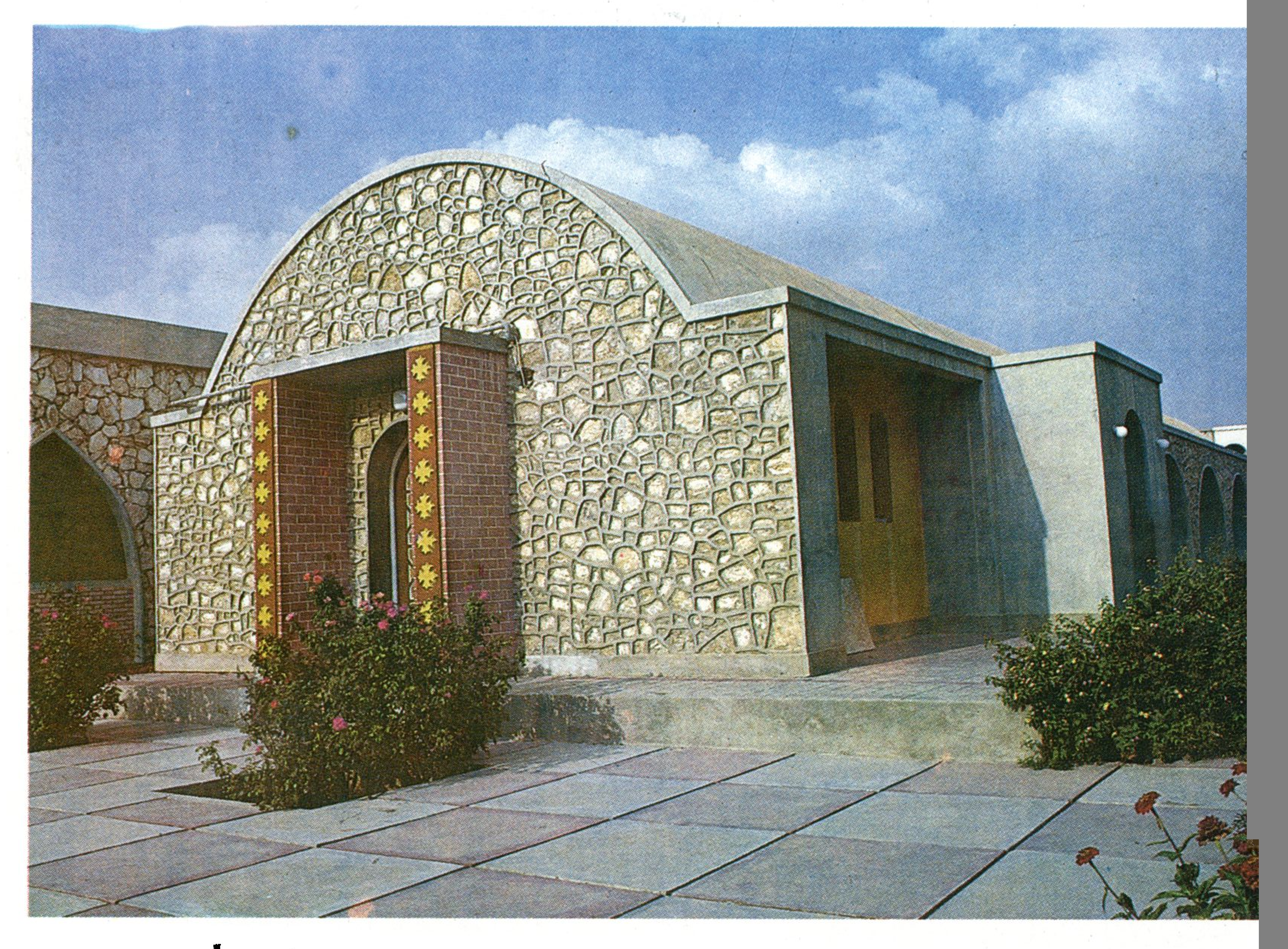
تيجان أعمدة من آثار صحن كنيسة أنبا مقار



بقايا أحجبة قديمة جداً، جُمعت بدون نظام،
لتكون حجاباً يحكي أمجاداً امحت. وهو داخل الحصن بالدور الأوسط.



بقايا القّانات (أوعية طقس الصلاة على الماء)
وبقايا قوارير فخارية غاية في القدم.
موجودة داخل المتحف الصغير بجري المكتبة



المائدة (الواجهة الشرقية)، حيث يجتمع الرهبان الساعة الثالثة بعد الظهر لتناول وجبة اليوم معاً.
حسب طقس الرهبان الأول

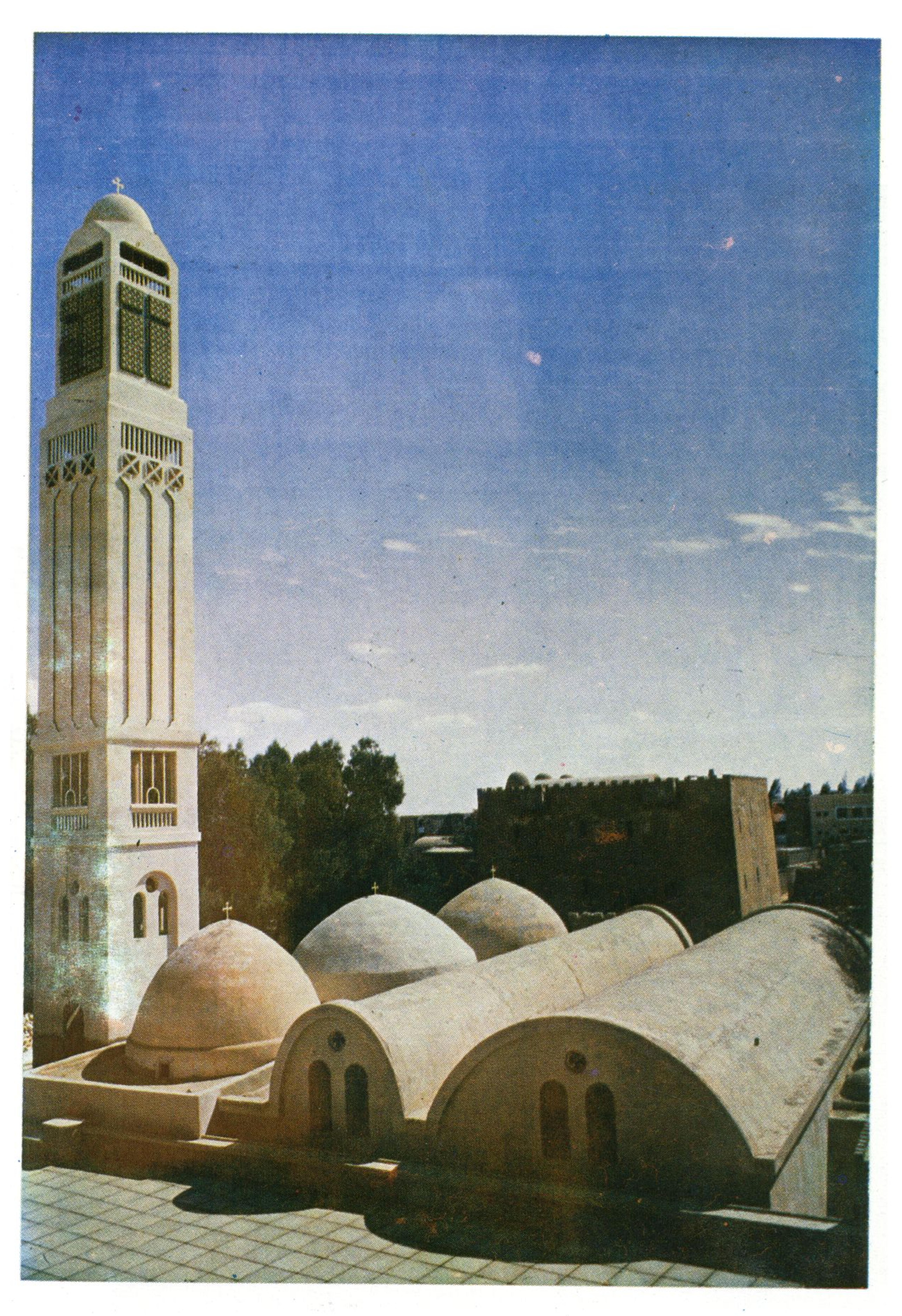


المقوصرة الأثرية القديمة

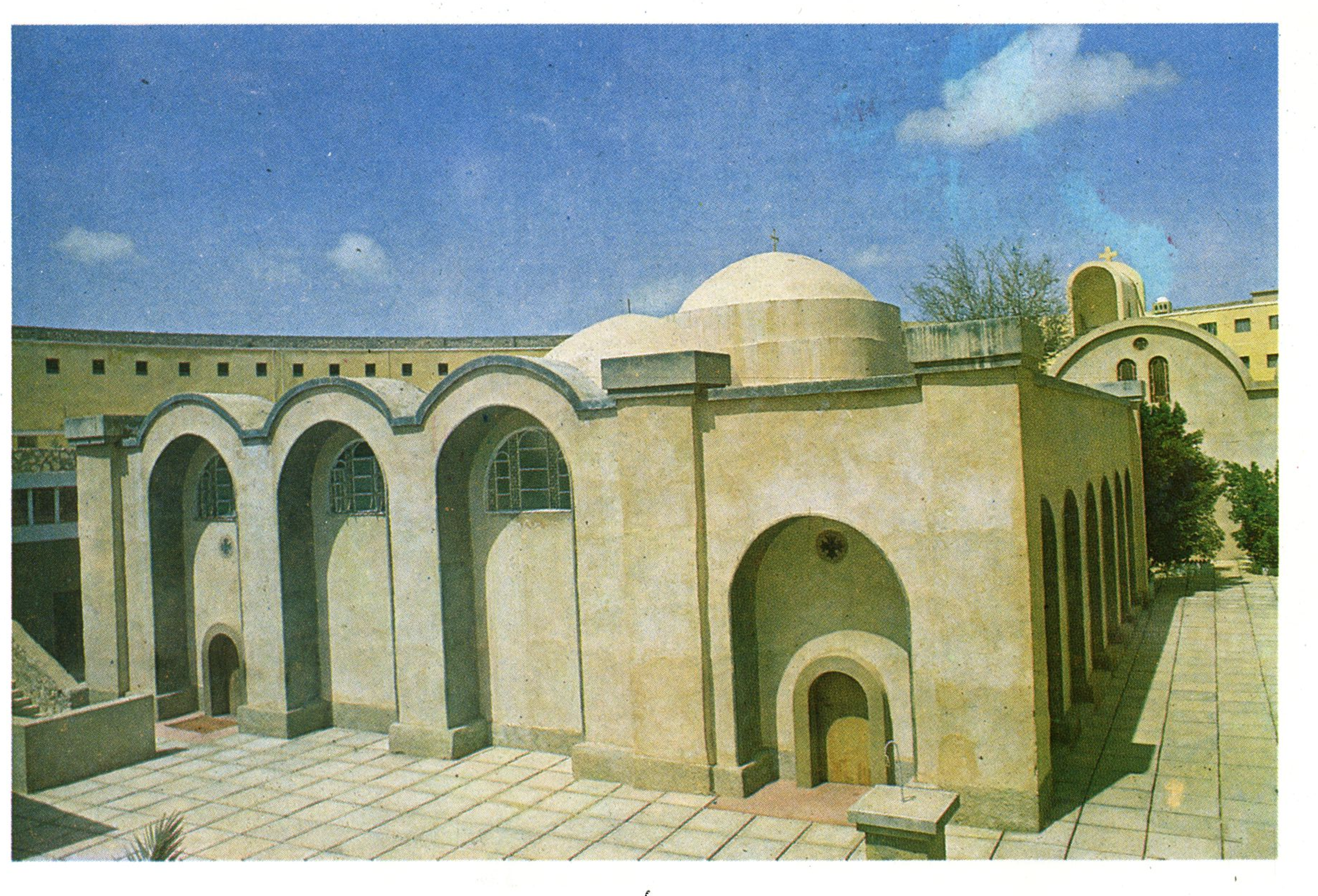
المذكورة فى صفحة ٤٧



في الواجهة : كنيسة القديس أباسخيرون الشهيد.
عن اليمين : كنيسة التسعة والأربعين شهيداً.
عن اليسار: مدخل كنيسة أنبا مقار.



كنيسة أنبا مقار بقبابها الثلاث ، والمنارة الجديدة



كنيسة الشهيد أبا سخيرون الجندي
(الواجهة القبلية)



الثلاثة مقارات القديسون
لوحة قديمة محفوظة بالدير



أعمدة رخامية وقواعد مربعة ولوحات مذبح وحامل شموع كانت مستعملة في هياكل الكنيسة الكبرى بالدّير، تكشف عن مدى الهيبة والأبهة التي كانت عليها الكنيسة في القرنين الخامس والسادس.



الجوسق (أي الحصن)

أو القسطلة = Castle

الذي كان يلتجىء إليه الرهبان الضعفاء خوفاً من البربر والإستشهاد

القلالي القديمة :

وهي صف من القلالي قبلي هيكل أنبا بنيامين الحالي على الطقس الرهباني القديم ، ولكنها ليست أثرية بالمعنى الصحيح فقد بنيت على أنقاض الهياكل القبلية التي تهدمت من كنيسة أنبا مقار، وهي هيكل أنبا مقار الذي بني قبلي هيكل أنبا بنيامين ، وهيكل أنبا شنودة الذي كان يليه من قبلي ـــ و بعد أن أزيل صحن الكنيسة لهذه الهياكل أصبح من الممكن بناء هذه القلالي ، وربما يكون ذلك في القرن الرابع عشر حيث يكون عمرها من عمر السور الشرقي الذي كان ملاصقاً لها .

والقلاية القديمة عبارة عن غرفة ذات قبو منخفض جداً ، لها باب ضيق منخفض ، وقد يكون لها شباك صغير أو لا يكون . ومن داخل هذه الغرفة المقببة غرفة أخرى ليس لها فتحات بالمرة تسمى « محبسة » **Closet** حيث يصلي الراهب و ينام . وعلى العموم فالقلايات القديمة لها مميزات من جهة عدم تنعيم الجسد وإعطاء روح الفقر والمسكنة للراهب ، ولها مضارها من جهة عدم كفاية التهوية والإنارة والشمس .

الغرفة العجيبة التي اكتشفناها أخيراً

وهي في نهاية صف القلالي القبو وملاصقة للسلم الجديد الذي أقمناه ليسهل الصعود إلى الحصن . و بالتحديد بحري الجدار البحري لهذا السلم ، حيث توجد فتحة مستديرة من الرخام المتقن ، تؤدي إلى غرفة في باطن الأرض مبطنة بطبقة من المونة الشديدة التي تقاوم المياه ، ومساحة هذه الغرفة ١٧٠ سم× ٤٤٥ سم× ٢٢٥ سم إرتفاع . و يظن أنها كانت خاصة بتصريف مياه المعمودية التي كانت ملحقة بهيكل أنبا شنودة من قبلي (؟) . على كل حال فكونها واقعة على إمتداد هياكل كنيسة أنبا مقار تكون وظيفتها هيكلية على أغلب الظن .



— ٧ —

النهضة المعمارية والروحية الحديثة منذ سنة ١٩٦٩

ما أن يخطو الزائر داخل الدير؛ وتقع عيناه على الكنائس والمنارة وأحواض الزهور والمباني الجديدة؛ حتى يحس للوقت أنه أمام حركة روحية فريدة في هذا الزمان.

وعلى نقيض ما يتصور الكثيرون عن الرهبنة، أنها أسوار حديدية، تحصر داخلها فتاة أو فتى أعطى ظهره للناس وللمجتمع، كأنه يعيش في عالم غريب عن البشر، يدرك الزائر أن رهبان هذا الدير قادرون على اقتحام الحياة وغلبتها، وعلى مواجهة المجتمع بمشاكله دون الغوص فيه. وهذا راجع إلى القوة الإلهية التي آزرت العمل والبناء والتجديد والتدبير الرهباني بصفة عامة، إذ استطاع الأب الروحي أن يقدم حلولاً واقعية للمعادلة الصعبة، التي هي المواءمة بين أصول الحياة الرهبانية كالتجرد والعفة والطاعة، وبين متطلبات جيل حديث تربى في عصر التكنولوچيا ودرس حتى المستوى الجامعي وما بعده أحياناً، وشغف بالمعرفة واللغات؛ يتوق أن يقدم نفسه كل يوم ذبيحة لله و يتطلع إلى خدمة الكنيسة والتعمق في تراثها المبعثر بين مكتبات العالم ومتاحفه. وكانت ثمرة هذا التدبير المُلهم، هو القلاية الحديثة، والمكتبة، والمائدة الجديدة، و باقي المباني الأخرى الحديثة، مع بذل أقصى الجهد للإحتفاظ بالآثار القديمة والعناية بترميمها، نظراً لما تحو يه من تاريخ مجيد يحكي عن إيمان صلب، استطاع أن يتحدى الزمن وعوامل الفناء، و يقف شامخاً وشاهداً على صدق الله والأمانة الروحية في الكنيسة القبطية.

لذلك يحس الزائر أنه يتحرك فعلاً بين أبنية تغطي ستة عشر قرناً من الزمان، يمتزج فيها الجديد بالعتيق في تآلف مذهل هو معجزة بحد ذاتها.

(١) قلاية الراهب: حافظنا في تصميمها على مبدأ التوحد الذي هو سمة الرهبنة القبطية، و بذلك تهيأ للراهب الإقامة فيها لأيام كثيرة دون حاجة مطلقاً للخروج أو الدخول؛ وقد تم تزو يدها بالفتحات الكافية للتهو ية والشمس والنور، مع دورة مياه كاملة على مجاري عامة تُصرف خارج الدير، ومكان مستقل للمطبخ، مع غرفة صغيرة ــ محبسة ــ أرضيتها من الخشب؛ ليتمكن

الراهب من النوم على الأرض دون أن يتأذى جسمه مهما كان رهيفاً، ثم غرفة المطالعة والسهر، بمكتب ودواليب حائطية. ومن جهة الهدوء المطلوب روعي أن تكون كل قلاية منفصلة تماماً عن جارتها بفناء واسع من جهة، وسلم صاعد للأدوار العليا من جهة أخرى، كما أن السقف سميك يكاد يكون مزدوجاً في درجة عزله للصوت، وأغلب الأثاث المستعمل فيها ثابت ودائم لتفادي الحركة والضجيج.

وإذا أضفنا إلى هذا، الفصل الكامل بين أماكن الضيافة و بين قلالي الرهبان وما يتبعها من مباني الخدمات اليومية بما يكفل للدير استقلاله وحُرْمته، نكون قد هيأنا للراهب الإستقلال المطلوب الذي تستوجبه العبادة والصلاة والحياة الداخلية بحسب روح الإنجيل. وهذا هو جوهر الحياة الرهبانية الذي لم نفرِّط فيه مهما كلَّفنا غالياً.

قلاية الأخ المبتدىء:

وبحسب التقليد الرهباني تختلف احتياجات الأخ المبتدىء عن الراهب، إذ توصي تعاليم الآباء أن يهتم المبتدىء بقضاء أكبر وقت ممكن في خدمة المجمع الرهباني، و بذل المحبة، والتواضع؛ ليكتسب الفضائل التي تهيئه للوحدة بعد ذلك، مثل إماتة الذات والطاعة الكاملة وحفظ الوصية وسط ضجيج العمل. كما أنه غير مُطالَب إلا بالصلوات القانونية والمطانيات في قلايته. لذلك تمَّ تخصيص المبانى الغربية والجنوبية لحجرات المبتدئين، نظراً لقربها من أماكن الخدمات العامة في الدير.

وقد تم إنشاء ما يقرب من مائة قلاية من النوع الأول وأربعين من النوع الآخر.

(٢) المائدة الجديدة: عرف رهبان مصر آداب المائدة؛ ووضعوا لها الأصول على أعلى مستوى(*)، بينما كانت أوروبا غارقة في ظلمة الجهل والبدائية. فالمائدة في الدير امتداد لوليمة الأغابي المعروفة منذ عصر الرسل، والتي شاعت في الكنيسة الأولى، حتى اندثرت بعد ذلك منذ وقت بعيد، إلا في مصر، حيث حافظت عليها الأديرة. وفي عصرنا هذا، الذي نسعى فيه للإرتواء من الينابيع الأولى، أُقيم لأول مرة في الأديرة القبطية مائدة تجمع الرهبان يومياً على نفس نمط مائدة العشاء الأخير يوم خميس الفصح. فكما كان الطقس اليهودي يحتم أن يجلس رب الأسرة أو الجماعة على رأس المتكأ، وإلى يمينه أكبر أفرادها سنّاً، وهكذا بالترتيب إلى أن تنتهي الدورة

(*) من تعاليم أنبا إشعياء الإسقيطي للمبتدئين (وهو من آباء القرن الخامس العظام): «إذا جلست على المائدة مد يدك إلى ما هو قدامك فقط... لا تتلفت هنا وهناك ولا تتكلم كلمة فارغة... إذا شربت الماء فلا تدع حلقك يحدث صوتاً».

بجلوس أصغر الموجودين على يسار رئيس الجماعة، هكذا في مائدة الدير يتصدر الأب الروحي المائدة والصلاة؛ و يقرأ البركة، ثم عن يمينه يجلس أقدم الرهبان، وهكذا إلى أن تنتهي الدورة بأحدث المبتدئين عن يساره.

ومن خلال هذه الوليمة اليومية وتعاليم الأب الروحي وشروحاته على كتاب «بستان الرهبان»، يحل الروح الواحد على الجماعة، ليكون لها الفكر الواحد والمبدأ الواحد والحياة الواحدة، للكبير والصغير على السواء. ومن خلال الصلاة وكلمة الله تتقدس حياة الراهب كما هو مكتوب: «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله» (١ كو ١٠: ٣١).

وقد أُلحق أخيراً بالمائدة مطبخ حديث فسيح لإعداد الطعام لما يربو على ١٥٠ راهباً في فترة وجيزة و بأقل جهد ممكن لما فيه من معدات حديثة. و يتكون هذا المطبخ من صالتين كبيرتين: الأولى للإعداد والغسيل والتجهيز بها ثلاجة لحفظ الأطعمة، والثانية للأفران وطهي الطعام.

(٣) المكتبة: كان لها في الأديرة شأنٌ كبيرٌ، و بالأخص دير القديس أنبا مقار الذي اقترنت فيه التقوى والقداسة مع العلم والمعرفة، حتى قيلت فيه هذه العبارة البليغة: «إنه موطن الصلاة الدائمة والحكمة العالية». لذلك أقيمت فيه أكبر مكتبة لحفظ ما تبقى من مخطوطات(*) أفلتت من أيدي الهواة والسارقين الأفاضل، كما نجتهد للحصول على ميكروفيلم وصور للمخطوطات الهامة، التي تسربت إلى الخارج، حتى تكون في متناول يد الرهبان والراغبين في الإطلاع والبحث. ووجود مطبعة حديثة بالدير، سيسهل نشر هذه المخطوطات لتعريف العالم ــ والشعب القبطي خاصة ــ بالتراث الروحي واللاهوتي والطقسي الذي كانت ومازالت عليه كنيسة مصر.

المتحف: وهو ملحق بالمكتبة في الجهة البحرية وفيه القطع الرخامية التي عثر عليها أثناء تجديد الدير مثل الأعمدة والتيجان والقواعد ولوحات المذبح التي تعتبر من أندر القطع في العالم كله، مع أحواض اللقّان والآنية الفخارية والخزفية الملونة.

(٤) ترميم الآثار: جميع المباني الأثرية التي في الدير كانت في حالة تقرب من التداعي والإنهيار: قبة أنبا بنيامين في كنيسة أنبا مقار التي يعتبرها الأثريون أقدم قبة قائمة في مصر كان بها عشرة شروخ على الأقل. فاقتضى تدعيمها إقامة أعمدة مسلحة في أركانها، وعمل شدادات تحت حائطها القبلي، الذي اتضح تأسيسه على سطح الأرض فوق الرمل مباشرة دون قواعد. وأثناء إزالة

(*) سيُنشر قريباً كتالوج المخطوطات القبطية والعربية والحبشية التي يحتفظ بها الدير.

البياض الخارجي الحديث للجدار الغربي، اكتشفنا تحته رسم حائطي للسيد المسيح والرسل والتلاميذ، فاضطررنا إلى تعديل التصميم محافظة على هذا الأثر البالغ القيمة. وبعد تقوية قاعدة القبة وتغليفها من الخارج بالخرسانة المسلحة زال خطر السقوط.

+ والقبة الرباعية الرائعة في كنيسة الشهيد أبسخيرون أيضاً كانت مصابة بشروخ خطيرة في أركانها الأربعة، مما دعانا إلى بناء أكتاف قوية بالحجر تسند حوائطها من الخارج. وهكذا صنعنا بقبة الميرون والمائدة القديمة.

+ أما شروخ الحصن فكانت من فوق إلى أسفل بكامل ارتفاعه في العديد من المواضع. والجهد الذي بُذل في ترميمه وتدعيمه، سواء من جهة التفكير أو التنفيذ، كان يكفي لبناء دير ثان ــ دون مبالغة ــ فقد تم تفريغ عراميس مباني الدور الأرضي وإعادة ملئها بمونة الأسمنت والرمل العالية القوة، ثم أقيمت أعمدة خرسانية مع شدادات فوق حوائطه لتحمل عقود تدعيم القباب المشروخة بالدور الأول. وبذلك أمكن رفع السقف الخشبي المتهالك لسطح الحصن، واستبداله بسقف وكمرات خرسانية قوية، تربط الحوائط الداخلية والخارجية بالدور الثاني. وأخيراً أعيد بياض ما تم ترميمه بمونة شديدة بنفس اللون الطفلي القديم.

فبعد أن كان دخول الحصن مغامرة خطيرة والوجود فيه يصيب النفس بالضيق والكآبة صارت زيارته الآن إحدى المتع التي تشرح قلب الزائر خاصة بعد استعمال حجرات الدور الأرضي كمتحف للأخشاب الأثرية كالأحجبة ومعرض للأدوات القديمة المستعملة لعصر الزيت والكروم.

مباني الضيافة: التزمنا بالفصل الكامل بين أماكن الزائرين وبين قلالي الرهبان، جعلنا نخصص الناحية الغربية البحرية لإستقبال الزائرين. وتشمل هذه الناحية المباني الملاصقة للمدخل الرئيسي، وتتكون من صالات كبيرة بالدور الأرضي والأول تتسع كل منها لمائتي زائر. أما المجموعات التي تزيد على هذا العدد فقد أقيمت لها صالة كبيرة على اليمين في فناء الكنائس أسفل السلم الرئيسي الهابط إلى هذا الفناء.

وكان لشيوع أنباء النهضة الروحية في هذا الدير العريق أن بدأ يفد علينا الكثير من رهبان أديرة الغرب، للتعرف على الخبرات الروحية التي تدفع الشباب القبطي في العصر الحديث للتكريس، حتى يعودوا إلى أديرتهم مجتهدين لتجديدها وبعث روح النهضة فيها. فوجدنا من الأوفق تخصيص أول مجموعة من القلالي لإقامتهم ليلمسوا بأنفسهم نجاح التدبير الرهباني في تهيئة الجو المناسب لجيل شاب يرغب في التعبد لله.

مبنى المستشفي وملحقاته: وموقعه في المباني القبلية من الدير. و يتكون من غرفة كبيرة للجراحة وأخرى للتعقيم، وصيدلية كاملة بمعمل تحليل وعيادة أسنان وعيون، و يشرف عليها أطباء متخصصون وصيادلة من الرهبان، وأُلحق به خط تليفوني مباشر مع مستشفي وادي النطرون للحالات الطارئة.

ونأمل، بعد استكمال تأثيثه وتزو يده بالأجهزة الطبية الحديثة وسيارة إسعاف، أن يقوم بواجبه الإنساني في إسعاف حوادث السيارات على طر يق مصر ـــ إسكندر ية الصحراوي.

المطبعة: تمكن الدير بتعضيد الغيور ين على نشر الثقافة القبطية المسيحية من تأثيث مطبعة بها أحدث الماكينات وتشغل الدور الأرضي من المبنى الغربي. وهذا يشمل غرفة متسعة مكيفة الهواء لماكينات الجمع التصو يري المزودة بالذاكرة الإلكترونية، وذات الإمكانية لجمع وتصو ير النصوص إلى ثماني لغات، بالإضافة إلى آلات التصو ير والطاولات المضاءة لأعمال طباعة الأوفست وآلة للطباعة (هايدلبرج) وآلات التطبيق والتدبيس والقص.

و يشرف على جميع هذه العمليات رهبان برعوا في إدارة ماكيناتها الحديثة بطر يقة أدهشت المتخصصين في صناعة الكتاب.

وقد صدر عنها ما ينيف على ٣٠ كتاباً، بعضها زاد عدد صفحاته عن ٨٠٠ صفحة (كتاب القديس أثناسيوس الرسولي)، بالإضافة إلى مجلة شهر ية «مرقس» تعبّر عن رسالة الفكر المسيحي للشباب والخدام.

مباني المزرعة: يرى الزائر إلى الشمال الشرقي من الدير مجموعة مباني تفترش مساحة عشرة أفدنة تقر يباً، هي الورش والجراچات الخاصة بمعدات الدير (سيارات نقل ـــ جرارات زراعية ـــ لوادر ـــ بولدوزرات... إلخ)؛ كما تضم حظائر المواشي الأجنبية والبلدية والدواجن، وما يلزمها من مخازن أعلاف جاهزة ومصنعة وصالات لتصنيع المنتجات الزراعية والألبان.

ويجري حالياً إعداد الدور الثاني للمبنى الرئيسي لمبيت الآباء المتخصصين في الأعمال الميكانيكية والزراعية والحيوانية.

محطة الكهر باء والتشحيم: أقيمت خارج الدير وقر يباً منه لآلات توليد الكهر باء حتى يتوفر الهدوء في الداخل، وأُلحق بها محطة كاملة لتمو ين المعدات بالوقود وتشحيمها، وتقوم شركة إسو العالمية بتزو يدها بالمنتجات البترولية. كما تحوي أماكن إقامة الرهبان المسئولين عن تشغيلها والفنيين المساعدين لهم.

مباني العمال الزراعيين: أعد الدير قرية عمالية كاملة على أسوار الأرض الزراعية في الناحية البحرية، وهي المباني التي يراها الزائر عند دخوله من البوابة الخارجية. وتستوعب هذه المساكن ٥٠٠ عامل زراعي لمباشرة الزراعات المحيطة بالدير بما يلزمهم من مطابخ وأفران ومخازن وعيادة طبية وصيدلية. وسيخصص الدور العلوي لهذه المساكن للصناع المهرة والفنيين، كما سيتم تزويدها بالكهرباء والمياه من بئر عميقة حتى تصير متكاملة الخدمات والمنافع.

أرض الدير على الساحل الشمالي طريق الإسكندرية ــ مرسى مطروح ك ٦٩: يمتلك الدير حوالي ٣٠ فداناً في هذه المنطقة التي تمتاز بجمال الطبيعة الرائع بين مياه رائقة لونها أزرق بللوري ورمال بيضاء ناصعة.

وقصة هذه الأرض ترجع إلى عشرين سنة مضت حينما كنا نعيش في وادي الريان، فواجهتنا في السنة الأولى مشكلة المياه المالحة الملوثة، فاتجه التفكير إلى البحث عن مكان آخر تتوفر فيه العزلة والمياه الصالحة للشرب، فأرشدنا أصحاب العلم والفضل إلى الساحل الشمالي، وتحركت السيارة من الإسكندرية على هذا الطريق وفيها الأب متى المسكين يتأمل الشاطىء والطبيعة حتى جذبته هذه البقعة بهدوئها الأخّاذ، وتم التعاقد مع صاحبها، وبدأنا إقامة المباني المناسبة. ولكن حالت الظروف وقتذاك عن الإستمرار في البناء، لذلك اكتفينا بإحاطتها بحزام أخضر من أشجار الكازورينا؛ وأقمنا مروحة تدار بالهواء على البئر لرفع الماء وسقي بعض أشجار التين الذي يشتهر به هذا الساحل.

فلما شاءت إرادة الله بالإقامة في دير أنبا مقار، وزالت الموانع التي تمنع من البناء على هذا الساحل، أقمنا سبع ڤيلات على المنحدر الطبيعي المواجه للبحر، لإستغلالها لخلوة الرهبان الذين يرى الأب الروحي حاجتهم إليها.

والعجيب أن وزارة التعمير والإسكان انتبهت أخيراً إلى القيمة السياحية والجمالية لهذا الشاطىء؛ فقامت بتقسيمه وبيع قطعه للهيئات والجماعات بقصد استغلاله سياحياً وترفيهياً، وتم تمليك الدير رسمياً لقطعة الأرض التي سبق أن اشتريناها من عرب المنطقة.

النشاط الزراعي والإنتاج الحيواني:

لم نكن نهدف في كل ما تم من أعمال البناء والتجديد والترميم، إلى غاية نبلغها ونرتاح عندها، ذلك لأن العمل بالنسبة للراهب وسيلة عظمى للنمو الروحي. فالراهب الذي عزم في قلبه أن يعيش حياة الكمال المسيحي يدرك منذ اللحظة الأولى لدخوله الدير أنه قادم من عالم الجسد

والخطيئة حاملاً في جنباته ميراث المجتمع والأسرة والجسد والملذّات التي تتصادم جميعاً مع متطلبات الكمال. فالعمل الجاد يكشف تزييف النفس و يعريها من غطاء البر الذاتى، والراهب الحكيم يتعلم كل يوم من أخطائه وخطاياه كيف يتواضع و يدق صدره «اللهم ارحمني أنا الخاطىء». كما أيضاً من جهة أخرى يتيسر للأب الروحي من خلال العمل أن يقوّم و يصحح و ينبه و ينذر، وهكذا من انتباه الراهب للخطيئة ومن طاعته لأبيه تبدأ النعمة عملها في تغييره من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح، فينمو روحياً وإنسانياً ووطنياً وتنضج شخصيته وتتبلور سماته الحقيقية التي خلقه بها الله بعد أن يسقط عنه زيف المجتمع و بغضة الحسد والمنافسة وتأكيد الذات. و بذلك يصير العمل ليس غاية بل واسطة فعالة للموت عن الذات البشرية والإمتداد في الكيان المسيحي الإلهي، و يكون البذل اليومي في المطبخ والبناء والحقل والورشة وحظائر الماشية وسائل لتمجيد الله والمساهمة في خدمة الآخرين.

(١) استزراع الصحراء:

العمل الأساسي الذي نجحنا فيه وصار فيما بعد سبب نجاح للمشروعات والتجارب الزراعية والحيوانية هو القدرة على تحويل مساحات الرمال الصفراء إلى حقول خضراء تسخو بالمنتجات الزراعية بما يفوق العائد من الأراضي الطينية السوداء باستخدام البحث العلمي الدقيق. فاخضرّت الصحراء وازهرت وأثمرت الرمال الجرداء. والمعروف أن تسعة أعشار مساحة القطر المصري من الأراضي الصحراوية.

لذلك لم تغفل عينا الرئيس السادات، وهو الساهر على رفاهية شعبه، عن هذه المعجزة فقام بتشجيعنا لموالاة هذه التجربة وما بعدها عن طريق وزيره المختص بإهداء ١٠٠٠ فدان ليساهم الدير في حل مشكلة الصحراء والأمن الغذائي للدولة.

(٢) التجارب الزراعية:

أ ــ بنجر العلف: ساهم الدير في حل مشكلة نقص علف الماشية وما يسببه من ارتفاع أسعار اللحوم إذ قام بزراعة بذور بنجر العلف المستوردة من ألمانيا الغربية، فاستجاب النبات لصحرائنا المستصلحة بطريقة مذهلة حيث وصل وزن الجذر الواحد أكثر من ٢٥ كجم أحياناً (بينما لم يزد عن ٧ كجم في ألمانيا موطنه) و بلغ محصول الفدان أكثر من ٢٤٠ طناً من الجذور، و٢٥ طناً من الأوراق. وأهم ما يتميز به هذا النوع من الأعلاف هو احتماله للتخزين لإستعماله في الصيف حيث ينعدم العلف الأخضر، بالإضافة إلى قيمته الغذائية المرتفعة لأنه يحتوي على ٧٪ بروتين بالإضافة إلى ١٠٪ نشويات التي تُزيد من قدرة الماشية على إدرار اللبن. و بذلك يعتبر هذا البنجر علفاً مثالياً.

ب ـ بنجر السكر: وهو من بذور مستوردة أيضاً من ألمانيا الغربية، وأعطى أعلى نسبة سكر في العالم وهي ٢٠ ٪ من وزن الجذر.

جـ ـ التين المجفف: نوع جديد استنبطته جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة يتميز بثماره القابلة للتجفيف.

هذا بخلاف تجارب أخرى لأنواع منتقاة من الشمام (أصناف الكانتالوب) وأشجار الزيتون الكلاماتا والأسباني، والنخل والفاكهة الأخرى حتى بلغت مساحة الأرض المنزرعة ٥٠٠ فدان بعد ٤ سنوات فقط.

(٣) في مجال الإنتاج الحيواني:

أ ـ قام الدير بإنشاء محطة تحسين صنف الأغنام المعروف باسم «البرقي» وموطنها الساحل الشمالي غرب الإسكندرية. واهتمامنا بهذه التجربة يرجع إلى وجود مرض خطير يتهدد قطعانها وينذر بإبادتها مع أن هذا الصنف من أميز أنواع اللحوم وصوفه متوسط الجودة وله قدرة عالية على الإحتمال.

ب ـ واستورد الدير بقر فرزيان من موطنه الأصلي بألمانيا وهولندا وسلالة من البقر السويسري «براون سويس» وأنشأنا محطة تربية للبقر البلدي بقصد تربية قطيع بلدي نموذجي غير مهجن وقطيع آخر مهجَّن بأصناف أوروبية ممتازة لتحسين السلالات المحلية والحصول على أصناف عالية الإنتاج في اللحم واللبن معاً. هذا بخلاف ما ينتج عنها من سماد بلدي تحتاجه عمليات استزراع الصحراء.

جـ ـ كما استورد الدير أيضاً نوعاً جديداً من الدجاج الفرنسي ISA Brown يتميز بإنتاج عال للبيض (٣٠٠ بيضة في السنة للدجاجة الواحدة) مع ارتفاع وزن البيضة حتى وصل إلى ١١٥ جم أحياناً بالإضافة إلى طعمها الجيد.

د ـ ويقوم المختصون بوزارة الزراعة حالياً ـ قسم وقاية النبات ـ بإنشاء مزرعة نموذجية للنحل المنتخب من أنواع ممتازة لإنتاج عسل النحل والمساعدة على تلقيح النبات، وذلك لما وجدوه من تعاون صادق واستعداد من الرهبان للعمل والبذل في سبيل المصلحة العامة.

* * *

ورغم المجهود الشاق الذي يتطلبه استزراع الصحراء الذي نباشره بوسائل بدائية، ورعاية التجارب الزراعية والحيوانية، إلا أن النجاح فيه يرجع أساساً إلى تعاون الآباء وروح المحبة المثالية واستعداد البذل. فكان هذا النشاط بأوجهه المتنوعة واجهة مشرقة أمام العالم والوطن وشهادة واقعية لصدق الله لكل من يتمسك به.

شرح صورة الدير قبل الإصلاحات

(١) الفرن القديم وهو مغطى بالبوص وكان مصدر حرائق في الدير ظهرت على طول مدى السور الغربي من كنيسة الشيوخ حتى نهاية السور.

(٢) المائدة القديمة وهي كما هي بحالها بعد تقوية جدرانها وقبابها المتداعية.

(٣) المعجن القديم وهو مبنى حديث مضاف، يحجز بين كنيسة أباسخيرون وبين المائدة التي كانت ملحقة بالكنيسة وقد أزيل لتصبح المائدة جزءاً مضافاً للكنيسة حسب الطقس.

(٤) كنيسة أباسخيرون وكانت أقبيتها وقبابها متداعية ذات شروخ طولية خطيرة. فتحتها تزيد على ١٥ سم. وقد صار تقويتها بغلاف مسلح يقيها من المطر وعوامل التعرية.

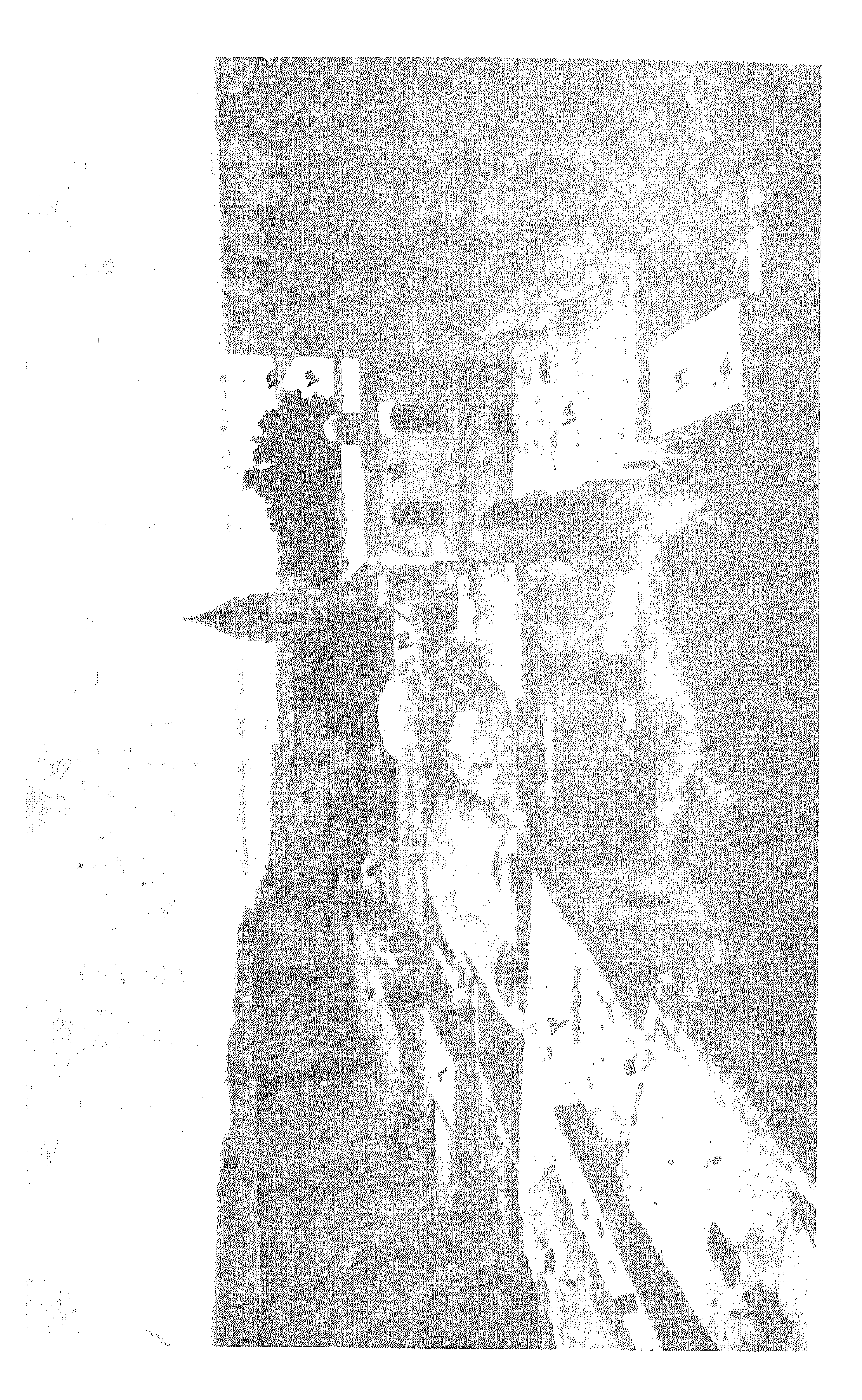
(٥) مذود للركايب وكان متاخماً لقلالي الرهبان ومصدر وبائي للذباب الذي كان يغشى الدير كله. وقد أزيل تماماً.

(٦) قلايات حديثة ضعيفة المباني متهالكة.

(٧) قلالي الرهبان وبطرفها البحري قلاية البطريرك ولا تزال أبوابها وشبابيكها الخشبية محفوظة بالدير (في حالة رديئة). وبطرفها القبلي مراحيض تصرف تحت أساسات كنيسة أباسخيرون.

(٨) السور الغربي وكان يرتفع فوق القلالي حوالي سبعة أمتار وكان متداعياً به شروخ طويلة خطيرة وكان يشكل خطراً كبيراً على القلالي وسكانها. وقد سقط مرة واحدة في نصف الليل دون أن يصيب أحداً.

(٩) كنيسة الشيوخ الشهداء التسعة والأربعين.



(١٠) قبة الميرون المقدس. وللأسف بالرغم مما لهذا الأثر الخالد (القرن السادس) من قدسية فقد استُخدم قديماً لتربية الطيور.

(١١) حوش أقيمت أسواره كدعامات للسور لمنعه من السقوط .

(١٢) منارة الجرس وهي على الطقس الغربي وفاقدة لأي إحساس معماري قبطي وكانت مبنية بالطوب الأحمر من منتصفها إلى فوق أما أساسها فكان من الطين والحجارة وكانت متداعية وقد سقط منها الجرس بسبب ثقله وأعيد تركيبه ولكن كان يشكل خطورة على حياة الرهبان .

(١٣) مجموعة قلالي لسكنى الرهبان وكان بالدور الثاني منها سكن أسقف الدير. نيافة الأنبا ميخائيل مطران أسيوط الحالي أطال الله حياته الذي على يديه و بتشجيعه تمت جميع الإصلاحات الحالية بحسب توجيهه .

(١٤) القصر الذي بناه أنبا أبرآم ، وكانت به المكتبة في إحدى الغرف السفلى وكانت دورات المياه تنشع على جدران كنيسة أبا سخيرون وتسببت في إتلاف جدارها الشرقي ولا يزال حتى الآن به شروخ بالرغم من الحزام الحجري الضخم الذي قمنا ببنائه حولها .

(١٥) قبة كنيسة أنبا مقار. و يلاحظ أن الكنيسة لم يكن بها إلاّ قبة واحدة قبل سنة ١٩٢٥ ميلادية ثم بنيت الثانية بعد ذلك .

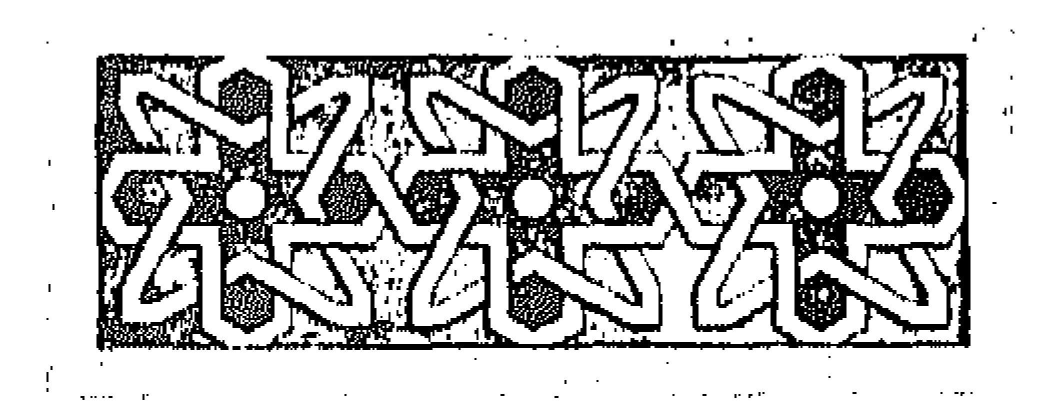
(١٦) الطرف البحري للسور الشرقي .

(١٧) الحصن القديم وتبدو الشروخ الطولية فيه واضحة .

(١٨) غرف مخازن أضافت إلى ضيق الممرات ضيقاً .

(١٩) مراحيض تصرف تحت أساس الحصن وهي التي تسببت في الشروخ الطولية الغربية من الجدار (وقد قمنا بترميمها جميعاً) .

فهرس اللوحات المنشورة بالكتاب



دير القديس أنبا مقار

المراسلات: ص. ب ٢٧٨٠ القاهرة

